

ديوانُ
صلاح عبد الصبور

دار العودة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة لدار العودة
الطبعة الأولى

١٩٧٢

الناس في بلاد

رحلة في الليل

١ - بحر الحِداد

الليلُ يا صديقي يَنْفُضُنِي بلا ضمير
ويطلقُ الظنون في فراشي الصغير
ويثقلُ الفؤادَ بالسوادِ
ورحلةُ الضياعِ في بحر الحِداد
فحين يقبلُ المساءُ ، يقفرُ الطريقُ ، والظلامُ محنةُ الغريب
يهبُ ثلَّةُ الرفاقِ ، 'فض' مجلسُ السمرِ
'إلى اللقاء' - وافترقنا - 'نلتقي مساءً غدً'
'الرخ' ماتَ - فاحترس . الشاهُ ماتَ !
'لم يُنَجِّهِ التدبيرُ' ، 'إني لاعبٌ خطيرٌ' ،

« إلى اللقاء - وافترقنا - « نلتقي مساء غد »

أعودُ يا صديقتي لمنزلي الصغيرُ

وفي فراشي الظنونُ ، لم تدع جفني ينام

ما زالَ في عرض الطريق تائهونَ يظلمونَ

ثلاثةُ أصواتهم تنداحُ في دوامةِ السكونِ

كأنهم يبكونُ

- « لا شيءَ في الدنيا جميلٌ كالنساءِ في الشتاءِ »

- « الخمرُ تهتك السرارُ »

- « وتفضحُ الإزارُ »

- « والشعارُ ... والدثارُ »

ويضحكون ضحكةً بلا تخومِ

ويقفرون الطريقُ من ثغاءِ هؤلاءِ

٢ - أغنية صغيرة

إليكِ يا صديقتي أغنيةً صغيرةً

عن طائرٍ صغيرٍ

في عشه واحده الزغيب
 وإلفه الحبيب
 يكفيهما من الشراب حسوتا منقار
 ومن بيادر الغلال حبتان
 وفي ظلام الليل يعقد الجناح صرة من الحنان
 على وحيد الزغيب
 ذات مساء ، حط من عالي السماء أجدل منهوم
 ليشرب الدماء
 ويعلك الأشلاء والذماء
 وحر طائري الصغير برهة ، ثم انتفض ...
 معذرة ، صديقي ... حكايتي حزينه الختام
 لأنني حزين ...

٣ - نزهة الجبل

الطارق المجهول ، يا صديقي ملثمت شرير
 عيناه خنجران مسقيان بالسموم

والوجهُ من تحت اللثامِ وجهُ يوم
لكنْ صوتَهُ الأَجَشُّ يشدخُ المساءُ
« إلى المصيرِ » ... ! والمصيرُ هُوَّةٌ تُروِّعُ الظُّنُونُ
وفي لقائِنَا الأخيرِ يا صديقي وعدتني بنزهةٍ على الجبلِ
أريدُ أن أعيشَ كي أشمُ نفحةَ الجبلِ
لكن هذا الطارقُ الشريرُ فوقَ بابي الصغيرِ
قدْ مدَّ من أكتافِهِ الغلاظِ جذعَ نخلةٍ عقيمِ
وموعِدِي المصيرُ ... والمصيرُ هُوَّةٌ تروِّعُ الظُّنُونُ

٤ - السندباد

في آخرِ المساءِ يَمْتَلِي الوسادُ بالورقِ
كوجهِ فأرٍ ميتٍ طلاسُ الخطوطِ
وينضَحُ الجبينُ بالعرقِ
ويلتوي الدخانُ أخطبوطِ
في آخرِ المساءِ عادَ السندبادُ
ليرُسيَ السفينَ

وفي الصباح يَفْقِدُ الندْمَانُ مجلسَ الندَمِ
ليسمعوا حكايةَ الضياعِ في بحرِ العدمِ

السندباد :

(لا تحك للرفيقِ عن مخاطرِ الطريقِ)
(إن قلتَ للصاحي انتشيتُ قالَ : كيفُ ؟)
(السندبادُ كالإعصارِ إن يهدأ يَمُتْ)

الندامي :

هذا محالٌ سندبادُ أن نجوبَ في البلاد !
إننا هُنا نضَاجِيعُ النساءِ
ونفُرسُ الكُرُومِ
ونعصرُ النبيذَ للشتاءِ
ونقرأُ (الكتابَ) في الصباحِ والمساءِ
وحينما تعود نعدو نحو مجلسِ الندَمِ
تحكي لنا حكايةَ الضياعِ في بحرِ العدمِ

٥ - الميلاد الثاني

في الفجر يا صديقتي 'تولّد' نفسي من جديد
كل صباح أحتفي بعيدها السعيد
ما زلتُ حيّاً ! فرحتي ! ما زلتُ والكلامُ والسبابُ
والسُعالُ
وشاطيءُ البحارِ ما يزالُ يَقْدِفُ الأصدافَ والآلُ
والسحبُ ما تَزَالُ
تسحُ ، والمحاضُ 'يلجئُ' النساءَ للوَسَادِ
ويلعبُ الأطفالُ فوق اسطح البيوتِ
لعبة العريس والعروس والتبات والنبات
والوردُ في خد البنات
وعند شطِ النهر عاشقانِ سارحانُ
لله ما أحلى عيونَ العاشقينَ حينَ يبسمونُ
ويقسمونُ
بجرّمةِ الشُّجونِ
وبالليالي المثقلاتِ ، وانتفاضةِ الحنينِ

وبالسوادِ في العيون
العهدُ لن يهون
صديقتي ، عمي صباحا ، هل ذكرتُ نزهةَ الجبل

٦ - إلى الأبد

« الرخ مات - لا تُرَعْ - فالشاه ما يزال »
والشاهُ بالبيادرِ التأمُ
« إلى اللقاء » -
وافترقنا -

« نلتقي مساء غد »

لنكمل النيزالَ فوق رقعة السوادِ والبياض

وبعد غد !

وبعد غد !

سنلتقي ...

إلى الأبد ...

هجم التتار

هجم التتار
ورَمَوْا مدينتنا العريقةَ بالدمارُ
رجعت كتائبنا ممزقةً ، وقد حَمِيَ النَّهَارُ
الرايةُ السوداءُ ، والجرحى ، وقافلةُ مَواتٍ
والطَبلةُ الجوفاءُ ، والخطوُ الذليلُ بلا التفاتِ
وأكفَ جندِيّ تدقُّ على الخَشَبِ
لحنَ السَّغَبِ
والبوقُ ينسِلُ في انبهارٍ
والأرضُ حارقةٌ ، كأنَّ النارَ في قُرْصٍ قَدَّارٍ
والأفقُ مختنقُ الغبارِ

وهناك مركبة "محطمة" تدورُ على الطريق
 والحيلُ تنظرُ في انكسار
 الأنفُ يَهْمِلُ في انكسار
 العينُ تدمعُ في انكسار
 والأذنُ يَلْسَعُهَا الغبارُ
 والجندُ أيديهم مدلاةٌ إلى قربِ القدمِ
 قمصانُهم مَحْنِيَّةٌ مصبوغةٌ بِنِشَارِ دمِ
 والأمهاتُ هربنَ خلفَ الرَبَوَةِ الدَّكْناءِ من هول الحريقِ
 أو هول انقراضِ الشقوقِ
 أو نظرة التَّسَرُّعِ المحملقةِ الكريهةِ في الوجوهِ
 أو كفَّهم تمتدُّ نحو اللحمِ في نهم كريبه
 زحف الدمارُ والانكسارُ
 وابلدتي ! هجم التتار

في معزل الأسرى البعيدِ
 الليلُ ، والأسلاكُ ، والحرسُ المدجَّجُ بالحديدِ

والظلمة 'البلاء' ، والجرحى ، ورائحة 'الصديد

ومزاح' مخمورين من جند التتار'

يتلمظون الانتصار

ونهاية السفر السعيد

وأنا اعتنقت هزيمتي ، ورميت رجلي في الرمال'

وذكرت' - يا أمي - أماسينا المنعمة الطوال

وبكيت' ملء العين - يا أمي - لذكرى كالنسيم'

وغنائم الكلم القديم'

أمي ...

وأنت بسفح ذاك التل بين الهاربين

والليل يعقد' للصغار الرعب' من تحت الجفون

والجوع' والثوب' الشفيف

والصم' والسعملة' والظلماء' 'تقـمـي' في الكهوف

أترى بكيت لأن' قريننا حطام ...؟

ولأن أياماً أثيرات تولت' لن تعود ؟

أماه ! إننا لن نبـيـد'

هذا بسمعي صاحبٌ من أهلِ شارعنا العتيد
 وسعالٌ مهزومٍ قعيدٌ
 وفمٌ يههمٌ من بعيدٍ بالوعيدِ
 وأنا - وكلُّ رفاقينا - يا أمُّ حين ذَوَى النهار
 بالحدِّ أقسَمنا ، سنهتفُ في الضحى بدمِ التتار
 أماء ! قولي للصغار :
 أيا صغار ...
 سنجوسُ بين بيوتنا الدكناءِ إن طَلَعَ النهارُ
 ونشيدُ ما هدم التتار ...

لشئق زهران

... وثوى في جنبه الأرض الضياء
ومشى الحزن إلى الأكواخ ، تنين كله ألف ذراع
كل دهليز ذراع
من أذان الظهر حق الليل ... يا لله
في نصف نهار
كل هذي المحن الصماء في نصف نهار
مذ تدلى رأس زهران الوديع

كان زهران غلاما
أمه سمراء ، والأب مولد

وبعينه وسامه
 وعلى الصدغ حمامه
 وعلى الزند أبو زيد سلامه
 ممسكاً سيفاً ، وتحت الوشم نبش كالكتابه
 اسم قريه
 « دنشواي »
 شب زهران قويتاً
 ونقياً
 يطاء الأرض خفيفاً
 وأليفاً
 كان ضحاً كالوعا بالغناء
 وسماع الشعر في ليل الشتاء
 ونمت في قلب زهران ، زهيره
 ساقها خضراء من ماء الحياه
 تاجها أحمر كالنار التي تصنع قبله
 حينما مر بظهر السوق يوماً

ذات يوم ...

مر زهران بظهر السوق يوما
واشترى شالا مُنَمَّئِمًا
ومشى يخال عجباً ، مثل تَرْكِيٍّ مُعَمَّم
وَيَحِيلُ الطَّرْفَ ... ما أحلى الشباب
عندما يصنع حبا
عندما يَجْهَدُ أن يصطاد قلبا

كان يا ما كان أن زُفَّتْ لزهرا جميلة
كان يا ما كان أن أنجب زهران غلاما ... وغلاما
كان يا ما كان أن مَرَّتْ لياليه الطويلة
ونمت في قلب زهران شَجِيرَه
ساقها سوداء من طين الحياه
فرعها أحمر كالنار التي تُحْرِقُ حَقْلًا
عندما مَرَّ بظهر السوق يوما

ذات يوم

مر زهران بظهر السوق يوما
ورأى النارَ التي 'تُحرقُ' حقلا
ورأى النارَ التي تصرع طفلا

كان زهران صديقا للحياه

ورأى النيرانَ تحتاج الحياه

مد زهران إلى الأنجم كفا

ودعا يسأل 'لطفًا

ربما ... سَوْرَة حَقْدٍ في الدماء

ربما استعدي على النارِ السماء

وضع النِطع على السَّكَّة والغيلانُ جاءوا

وأتى السيفُ مسرورُ وأعداء الحياه

صنعوا الموتَ لأحباب الحياه

وتدلَّى رأسُ زهران الوديعة

قريتي من يومها لم تَأْتَدِمُ إِلَّا الدموعُ
قريتي من يومها تأوي إلى الرُّكنِ الصديق
قريتي من يومها تخشى الحياهُ
كان زهرانُ صديقاً للحياه
مات زهرانُ وعيناه حياه
فلماذا قريتي تخشى الحياه...؟

... وأتى نعي أبي هذا الصباح
 نام في الميدان مشجوجَ الجبين
 حوله الذؤبان تعوي والرياح
 ورفاق قبلة خاشعين
 وبأقدام تجرّ الأحذية
 وتدق الأرض في وقع منفر
 طرقوا الباب علينا
 وأتى نعي أبي

كان فجراً موغلاً في وحشته

مطرٌ يهيم ، وبردٌ ، وضبابٌ
ورعودٌ قاصفه

قطعةٌ تصرخُ من هولِ المطرِ
وكلابٌ تتعَاوى

مطرٌ يهيم ، وبردٌ ، وضبابٌ
وأتينا بوعاءٍ حجري
وملأناه تراباً وخشباً
وجلسنا

نأكلُ الخبزَ المُقَدَّدُ
وضحكنا لفُكاهه
قالها جدي المعجوزُ
وتسلَّل

من ضياءِ الشمسِ موعداً
فتفاءلنا ، وحيَّيْنا الصباحَ
وبأقدامِ تجرُّ الأحذية
وتدقُّ الأرضُ في وقعِ مُنْفَر

طرقوا الباب علينا

وأتى نعي أبي

حين ودعت أبي

من زمان

كان دمني غائراً في 'مقلتي

وشفاهي تنطق' الحرف الصغير

يا أبي !

مرة يخنقه' الدمع' ، ويأبى

أن يذوب

في فراغِ العدمِ-

ثم جمعتُ حياتي

وهي بعضٌ من أبي

ما الذي يقصيك عني .. ؟

ما الذي يدعوك للبحر الكبير ؟

ما الذي يدعوك للدرب المضلل ؟

لم تجفو مضجعك ؟

لم يبدو الموتُ في منزلنا
قدراً لا يخطيءُ
وأبي يثني ذراعَه
كهرقل
ثم يعلو بي إلى جبهته
وينبغي
ثارة رأسي وطوراً منكبي
ويصرّ البابُ في صوتِ كئيبٍ
ومضى عني ، وراحتْ خطوته
في السكون ...
ونرى طُلُعَتَهُ بينَ الضباب
وأرى الموتَ ، فأعوي
يا أبي !
وأتى نعيُ أبي هذا الصباح
نام في الميدان مشجوج الجبين

جُنْتُ الرِّيحُ على نافذتي
في مسائي ، فتذكرت أبي
وشَكَتْ أُمِّي من علَّتْها
ذاتَ فجرٍ ، فتذكرت أبي
عقرَ الكلبِ أخِي ...
وهو في الحقل يقودُ الماشيه
فبكينا

حين نادى ...

يا أبي !

إننا الأغرابُ في القفر الكبير
إننا ضِيقُنَا وضاقَتْ روحنا
القطيع .. !

غاب راعيه ، وطالت رِحْلَتُهُ
وهو في بيدا لا ظل بها
يا لأقدام تجرُ الأحذيه
وتدقُ الأرضَ في وقعٍ منفّر

يا لأقدامٍ تذيعُ النبأَ
 نبأَ المصروعِ في صخرِ الجبلِ
 إنه مات !
 إنه مات وجفَّتْ رِحْلَتُهُ
 إنه مات وواراهُ الثرى
 حيثُ مات
 حين غابَ لهيبُ المدفأهِ
 كلُّ شيءٍ كانَ يحكي النبأَ
 قطرةٌ تصرخُ من هولِ المطرِ
 وكلابٌ تتعاوى
 ورعودُ
 كان فجراً موغلاً في وَحْشَتِهِ
 وأتى نعي أبي
 نام في الميدان مشجوج الجبين . .

الناس في بلادهم

الناس في بلادهم جارحون كالصقور
غناؤهم كرجفة الشتاء في ذؤابة المطر
وضحكهم يئز كاللهيب في الحطب
خطأهمو تريد أن تسوخ في التراب
ويقتلون ، يسرقون ، يشربون ، ينجشأون
لكنهم بشر
وطيبون حين يملكون قبضتي نقود
ومؤمنون بالقدر

وعند باب قريتي يجلس عمي « مصطفى »

وهو يحب المصطفى
 وهو يقضي ساعةً بين الأصيلِ والمساءِ
 وحوله الرجالُ واجنون
 يحكي لهم حكايةً ... تجرُّبةَ الحياه
 حكايةً تثير في النفوسَ لوعةَ العدمِ
 تجعلُ الرجالَ ينشجُون
 ويطرقون
 يحدقون في السكونِ
 في لجةِ الرعبِ العميقِ ، والفراغِ ، والسكونِ
 « ما غايةُ الإنسانِ من أتعابهِ ، ما غايةُ الحياهِ ؟
 يا أيها الإله !!
 الشمسُ 'مجتلاك' ، والهلalُ مفرقَ الجبينِ
 وهذه الجبالُ الراسياتُ عرشُكَ المكينِ
 وأنتَ نافذُ القضاءِ أيُّها الإله
 بنى فلانٌ ، واعتلى ، وشيّدَ القلاعَ
 وأربعونَ غرفةً قد 'ملئت' بالذهبِ اللامعِ

وفي مساءٍ واهنٍ الأصداءِ جاءَهُ عزْزِيلُ
يحمل بين اصْبَعَيْهِ دَفْتَرًا صَغِيرَ
ومدَّ عزْزِيلُ عَصَاهُ
بسرٍّ حرَفِيٍّ « كُنْ » ، بسرٍّ لفظٍ « كان »
وفي الجحيمِ دُخْرِجَتِ رُوحُ فُلانٍ
(يا أيها الإله ...
كَمْ أَنْتَ قَاسٍ مَوْحِشٍ يا أيها الإله)

بالأمس زرت قريقتي ، قد مات عمي مصطفى
ووسدوه في الترابِ
لم يبتنِ القلاعَ (كانَ كَوخُهُ من اللَّيْنِ)
وسارَ خلفَ نَعْمِيهِ القَدِيمِ
من يملكون مثلهُ جَلْبَابَ كَتانٍ قَدِيمِ
لم يذكروا الإله أو عزْزِيلُ أو حُرُوفَ (كان)
فالعامُ عامُ جُوعٍ
وعند بابِ القَبْرِ قامَ صاحبي خليل

حفيدُ عمي مصطفى
و حينَ مَدَّ للسماءِ زِنْدَهَ المفتُول
ما جَتَ على عينيهِ نظرةُ احتقارِ
فالعامُ عامُ جوع ...

السلام

ويظل يسأل ، والحياة تموت في عيفيه ، إنسان يموت
وعلى محياه القسم سماحة الحزن الصموت
والبسة البيضاء تهر فوق خديه محبه
لك ، لي ، لمن داسوه في درب الزحام
ألقى السلام ...
وصفا محيائه ، وأغفقت بين جفنيه غمامه
بيضاء شاحبة يطل بعمقها نجما سواد
ومتطت الرئتان في صدر زجاجي خرب
وامتدت الأنفاس مجدة تراوغ أن تبوح بالانكسار :
« إني انهزمت ، ولم أصيب من وسعها إلا الجدار

والنورُ ، والسعداءُ ، من حولي ، وقافلةُ البيوت
لكنّه ألقى السلام ...

ومضى ، ولا حسّ ولا ظلّ كما يضي ملاك
وتكورت أضلاعه ، ساقاه ، في ركنٍ هناك
حتّى ينام
من بعد أن ألقى السلام

كنّا على ظهرِ الطريقِ عصابةً من أشقياءِ
متعذّبين كآله
بالكتبِ والأفكارِ والدُخَانِ والزَمَنِ المَقِيمِ
طالَ الكلامُ ... مضى المساءُ لُجاجةً ... طالَ الكلامُ
وابتُلَ وجهُ الليلِ بالأنداءِ
ومَشَتْ إلى النفسِ المَلالَةُ ، والنعاسُ إلى العيونِ
وامتدّتْ الأقدامُ تلتَمِسُ الطريقَ إلى البيوتِ
وهناكَ في ظِلِّ الجدارِ يظلُّ إنسانٌ يموتُ

وَيَظَلُّ يَسْعَلُ ،

والحياة 'تجف' في عينيه ،

إنسانٌ يموت

والكتبُ والأفكارُ ما زالت ..

تَسُدُّ جبالُها وجهَ الطريقِ

وجهَ الطريقِ إلى السلام ...

الهنون

يا صاحبي ، إنني حزين
طلعَ الصّباحُ ، فما ابتسمتُ ، ولم يُنِرْ وجهي الصّباح
وخرجتُ من جوفِ المدينةِ أطلبُ الرزقَ المتاح
وغمستُ في ماءِ القنّاعةِ خبزَ أيتامي الكفّاف
ورجعتُ بعد الظُّهرِ في جيّبي قروشُ
فشربتُ شايًا في الطريقِ
ورتّقتُ نعلي
ولعبتُ بالنرد الموزّعِ بين كفي والصديقِ
'قل' ساعةٌ أو ساعتين
قل عشرةً أو عشرين

وضحكتُ من أسطورةٍ حمقاءَ ردَّدها الصديق
ودموع شحاتٍ صفيق
وأتى المساء
في 'غرقتي دلف المساء
والحزن' يولدُ في المساءِ لأنه 'حزن' ضرير
حزنٌ طويلٌ كالطريقِ من الجَحيمِ إلى الجحيم
حزنٌ صموتٌ
والصمتُ لا يعني الرضاءَ بأنَّ أُمْنِيَّةً تموت
وبأنَّ أياماً تفوت
وبأنَّ مِرْفَقَيْنَا وَهَنَ
وبأنَّ رِيحاً مِنْ عَفَنٍ
مسُّ الحياة ، فأصبحتُ وجميعُ ما فيها مقبوت

حزنٌ تمدَّدَ في المدينه
كاللص في جوفِ السكينه
كالأفعوانِ بلا فحيح

الحزن قد قهر القلاع جميعها وسبى الكنوز
وأقام حكماً طغاه
الحزن قد سمل العيون
الحزن قد عقد الجباه
ليقيم حكماً طغاه

يا تعسها من كلمة قد قالها يوماً صديق
مغرى بتزويق الكلام
كنّا نسير
كفّي لكفّيه عناق
والحزن يفتش الطريق
قال الصديق :
يا صاحبي !...

ما نحن إلا نفضة رغاء من ربح سموم
أو منية حمقاء

والشيطان خالقنا ليَجْرَحَ قدرة الله العظيم

او أن اسمينا ببرج النحاسِ كانا ، يا صديق
وجفَلتُ فابْتَسَمَ الصديق
ومشى به خَدَرٌ رَفِيق
ورأيتُ عينيه تالقتا كمصباحٍ قديمٍ
ومضى يقول :

« سنعيش رغم الحزن ، نقهره » ، ونصنع في الصباح
أفراحنا البيضاء ، أفراح الذين لهم صباح ..
ورنا إليّ ...

ولم تكنُ بُشْرًا ، مما قد يُصدِّقه الحزينُ
يا صاحبي !

زَوْقٌ حَدِيثَكَ ، كل شيءٍ قد خلا من كلِّ ذَوْقٍ
أما أنا ، فلقد عرَفْتُ نهايةَ الحَدَرِ العميقِ
الحزنُ يفتَرشُ الطريقَ ...

عيد الميلاد لسنة ١٩٥٤

نَزَحَ المساء ولم أزل أحيَا بأحلام النيام
أرد النهار بمقلَّتَي سَأْمَانٍ من هَوْلِ الزحام
ماذا عليّ لو انعطفتُ لغرفتي ... حتى أنام
وأغوصَ في بحر السلام

النور عملاقٌ يزلزل هدأتي ويَهْدُ أمني
ويريني المهوى العميقَ لرحلتي فيريع ظني
يا ليلُ، يا راحي، ومصباحي وأفراحي، وكنّتي
أبعِدُ رماحَ النورِ عني !

يا وحدتي ! الليلُ راح لا بدّ من خوضِ الصباح

لا بد من خوض الصباح إلى الجراح ، إلى النواح
ماذا يؤسّع النازلين إلى الصباح ، بلا سلاح
يا وحدي ، الليل راح

الكأسُ في كفي نجيبه تلد الخرافات العجيبه
تلد المساء غوانياً يُغفِنَ في الحُمْلِ القَشِيبَه
تلد الصباحَ أنا بهِ (المنصورُ) في رأسِ الكتيبهِ
لكنّها حُبائى كذُوبه

أُمعِيري بالوهم ، لا وهمٌ هناك ولا حقيقه
الطفل يفجؤني بأسئلهٍ محيرةٍ عميقه
وذوو الذقون البيض يزدحمون في الغرف العتيقه
ويفتشون عن الطريقه

يا عيدُ، يا نبعي الكتيبُ يا ذكراً إنسانٍ غريب
حمل الذنوبَ عن القطيع فماتَ من وقرِ الذنوب
يا لاهناً فوق الصليب يكادُ يسألك الصليبُ
لم مُتْ من دونِ الصليب ؟

سورناتا ،

ولا تُشغلي إننا ذاهبانِ
لنحيا على بقلها ، لا الحياةُ
ونصنعَ كوخاً حواله تلُ
ويا فتنتي ، سامي رحلتي
إلى قريةٍ لم يطأها البشرُ
تضنُ علينا ، ولا النبعُ جَفُ
من الوردِ باحتتهُ ، والسُجفُ
وغربتُننا المرفأ المنتظرُ

وكانَ سريرك من صندلٍ
وطوّقتُ جيدك بالياسمين
وثوبك خيطُ من الموسلين
ونُرّخي الستارَ ، وفيروزتان
وفرشتتهُ منحريرِ الشامِ
ومسّحتُ كفيك بالعنبرِ
وخيطُ من الذهبِ الأصفرِ
تموجانِ في وجهك المُستهامِ

وأيقظني صاحبي (يا فلان)
 أفق ، غمرَ النُّورَ وَجْهَ الوجود
 ودوَّى القطارُ ، ومأجَ الطريقُ
 زحاماَ من الأرضِ حتى السماء
 يساقونَ والموتُ في مرصدِ
 لمركبةِ البُلْهِ والأغبياءِ
 لأجلِ الرَغيفِ ، وظلِّ وريفِ
 وكوخِ نظيفِ ، وثوبِ جديدِ
 وفي العصرِ 'شفتُكِ يا فتني
 ولم نفترقِ في الزحَامِ البليدِ
 وقبلتُ ثوبَكَ يا فتني
 لأنكِ أنتِ رجائي الوحيدِ

الرحلة

الصبحُ يدرجُ في طفولته والليلُ يحبو حبو منهزمِ
والبدرُ كَلَمَ فوقَ قريتنا أَسْتارَ أوبتهِ ، وَلَمْ أَنمِ

جَامٌ وإبريقٌ وصومعةٌ وسماءُ صيفِ كَثْرَةِ النِّعَمِ
قد كَرُمْتَ أنفاسُها رِثِّي وتقطَّرتْ أنداؤها بِفمي
ونجيمةٌ تغفو بنافذتي

لَحَظْتُ شُرُودي لَحَظَ مَبْتَسِمِ
وصدىُ المِوالِ يعاودُني
وحفيفُ موسيقى من السُّدُمِ
ورؤى أنصرها وأقطفها وألمها ، وَيَذُرُّها سَامِي

وعرائسٌ تختالُ في حُلُمي بين الدفوفِ وضجةِ النغم
وأطلُّ مأخوذاً فتبسم لي تيجانها ، ويهزني ضرَمي
وترودُها كفي فيفجِعُني حسُّ الدمي ، وبرودةِ الصنم
قمي تنكّرُ لي مسالكُها من بعدِ إلفي روعةِ القمم
يا رحلةَ المعنى على خلدي قرّني يجذبني ، عانقي عدّمي

ولّى المساء وجوه السحري الصبح أشرق وجهه الخمري
يا إخوتي النّوام ، ما أحلى
حُضنَ الكرى ، وسدّاجَةَ الفكرِ

الوافد الجديد

زورقي جانحٌ كثيرٌ	وشراعي بهُ خرُوقٌ
وخليجي ومرفئي	نامٌ من دُونهِ المَضيقُ
وأنا جاهِدُ لَغُوبُ	أتهادى إلى الأبد
نحو قصرٍ من الرمالِ	وقلاعٍ من الزَبَدِ
بينها يرقُدُ الحبيبُ	في سريرٍ من الدُخانِ
فوقه مجمرٌ غريبٌ	وظلالٌ من القِيانِ
زورقي مالَ وانكسر	كغَمٍ في الماءِ نصفهُ
ضاعَ كدِّي! فلن أرى	من سبى النفسِ وصفهُ
وبعيداً على الضفافِ	هلل الوافدُ الجديدُ
لحبيبي ، على دمي	قد بنى عالماً سعيدُ

الإله الصغير

كان لي يوماً إله ، وملاذي كان بيته
قال لي « إنَّ طريقَ الوردِ وعَرْوُ » ، فارتقيته
وتلفَّتُ ورائي ، وورائي ما وجدته
ثم أصغيتُ لصوتِ الريحِ تبكي ، فبكيتُ



ذاتَ يوم ، كنتُ أرتادُ الصحارى ، كنتُ وحدي
حين أبصرتُ إلهي ، أسمرَ الجبهة ، ورُدِّي
ورقصنا وإلهي للضحى ، خُداً ... ليخد
ثم غننا ، وإلهي ، بينَ أمواجِ ووردِ



وإلهي كَانَ طفلاً ، وأنا طفلاً عبدته
كل ما في الروض يهواه ، ولكنني امتلكته
كلما نغم في الأيكة عصفور ، لثمته
وإذا ثارت بنا الأشباح والليل ، اعتنقته



ومشينا مرة في الليل ، والوجد طلايم
فنشتنا ثورة المطر ، وقبّلنا الكائم
وشهدنا في انتصاف الليل ميلاد النسائم
ورجعنا في ثياب الفجر ، نبذوا كالتوائم



ثم أصبحت إلهي تمنع الحظوة عني
وأناديك فأعيما ، ويسد الصمت أذني
وأناجيك على الحيرة في ظل التمني
أترى رحمت أم الوجد الذي ضاع بعيني



كان لي يوماً إله وملأذي كان بيته
قال لي « إن طريق الورد وعر ، فارتقيته ،
وتلفت ورائي ، وورائي ما وجدته
ثم أصغيتُ لصوت الريح تبكي ، فبكيتُهُ »

الإطلال

أطلال ... أطلال
يمشي بها النسيان
في كفه أكفان
لكل ذكرى قبر
وبينها قبري ..

أطلال ... أطلال
ناحت له صلوات
واسترحت عبرات
وتصدت النزوات

في ثوبها الشِغري

أطلال ... أطلال

الوردُ فيها تَلَّ

ممزَّقُ مبتل

بالنهرِ من سَمْعِي

والقَيْظِ من فِكْري

أطلال ... أطلال

والجنُ فيها سُودُ

لهم فَحِيحُ السُّودِ

يَثْبُونُ في الأسْجارِ

وثباً على صدري

أطلال ... أطلال

والفجرُ فيها طفل

معفَّرُ معْتَلِّ

ممزَّقُ الوَجَنَاتِ

مروّعٌ يجري

أطلال ... أطلال

والبلبلُ النوّاح

ولّى بغيرِ جناح

إلا رؤىً وخيالٌ

أصبحتُ لا أدري

أطلال ... أطلال

لا شيءَ غيرِ الويلِ

وغيرِ قلبِ الليلِ

وموكبِ الإغصارِ

يعدو إلى البَحْرِ

أطلال ... أطلال

« تأنّجو » ترنّ هناك

أزهارُها أشواكُ

وشطّتها خدّاعٌ

والركب' لا يدري

أطلال ... أطلال

هذي هي الأطلال

نِهَايَةُ 'الآمال'

أَسْعَى وَرَاءَ الشَّمْسِ

والشمس' في ظهري..

ذكريات

ذاتَ مساءٍ مُظْلِمٍ كَأَنَّهُ سِرْدَابٌ
أُطْلُ من كَوَى الجدارِ وَجْهَهُ المُرْتَابُ
والريحُ حَوْلَ كُوخِهِ قارِصَةٌ مدمِمةُ
والرعدُ قاصِفُ الصدى ، مَدِينَةٌ مُنْهَدِمةُ
والبرقُ ضَاءٌ في السَّمَاءِ أَهْلَةٌ أَهْلَةٌ
والأفقُ غَابةٌ كَثِيفَةٌ النِّبَاتِ مُشْعَلَةٌ
فلم يَجِدْ له إلى الخِلاصِ من سَبِيلٍ
ومَاتَ في مَسْجِنِهِ ، في كُوخِهِ الذَّلِيلِ

وبعدَ عامٍ ، مثلاً يقالُ ، دَبَّتْ الحَيَاةُ

فِي رُوحِهِ وَجَسَمِهِ ، فَهَبْ يَبْتَغِي النِّجَاهُ
 أَطْلُ مِنْ كُوى الْجِدَارِ وَجْهَهُ ، يَا فَرَحَنَا
 فَأُطْبِقَ الْعَيْنَيْنِ ، صَرْ بَابَهُ ، وَالتَّفَتَا
 وَكَانَتْ السَّمَاءُ بِحِجْرَةٍ تَمُوجُ بِالْحَنَافِ
 وَالشَّمْسُ وَالْهَلَالُ فِي الْخَضَمِ زَوْرَقَانِ
 وَحِينَ مَدَّ قَامَةً كَسِيرَةً مَحْطُومَةً
 تَلْفَعُ الثَّوبَ الْقَدِيمَ ، وَالْحَوَائِجَ الْقَدِيمَةَ

وَكَانَ جَائِعًا وَظَامِنًا ، مَمَزَّقَ الثِّيَابَ
 وَلَمْ يَكُنْ لِقَلْبِهِ فِي الْكَوْنِ مِنْ أَحْبَابِ
 وَفَجْأَةً لَاحَتْ لَهُ أَمِيرَةٌ مُؤْتَزَّرَةٌ
 بِيَضَاءٍ مِثْلَ لَوْلُؤٍ ، وَحُلُوةٍ كَسَكْرِهِ
 مَدَّتْ ذِرَاعِي فِضَّةٍ تَلْقَاهُ فِي تَحْنَانِ
 وَكَبُومَتِ فِي ثَغْرِهَا النُّضِيرِ قَبْلَةَ الْحَنَانِ
 لَكِنَّهُ اسْتَدَارَ لِلْفَلَاةِ حَائِرَ الْخَطَى
 كَأَنَّهُ ، فِيمَا يَحْدُثُونَ ، عَمَلَقُ مَضَى

ومات يا سيدتي الحسنة ميتة الشهيد
ولن يعود للحياة ، والشهيد لن يعود
وتسألين : لم حكيت في المساء قصته
ولم بعثت في السكون ذكريات ميتة ؟
سيدتي ! وحينما عاهدته كان يموت
سيدتي ! أما عرفت انني صموت
يطل من كوى الجدار وجهه المرتاب
كل مساء مظلم كأنه سرداب

أملك لك

أواحدتي ، قبلما نلتقي
بذاك المساء السعيد البعيد
بلوت الحياة وأرزاءها
عرفت صليل القيود الحديد
وكم ليلة جُعتُ يا فتني
وأخرى ظمئت
وكم جَعَدَت عارضِي الدماء
وقد وَخَزَتْهَا ليالي الشتاء
تصارعتُ والهولُ وجهاً لوجه
ولكنني ، ما عرفتُ الفرار

أواحدتي ... ربما تعجبين

وقد تسألين

لماذا إذن يا صديقي ينورُ عينيكَ فيضُ سرورٍ وحب

حكايةُ هذا على طولها لا تثيرُ السأمَ

سأحكي الحكايةَ من بدئها

لحدِّ الختامِ

صبايَ البعيد

أحنُّ إليه ، لألعابه

لأوقاتهِ الحلوةِ السامِرةِ

حنيني غريب ...

إلى صُحْبتي

إلى إخوتي

إلى حِفْنَةِ الأشقياءِ الظهورِ ينامونَ ظهراً على المصطبة

وقد يحملونَ بقصرٍ مَشِيد

وبابٍ حديد

وحورية في جوار السرير
ومائدة فوقها ألف صحن
دجاج وبط وخبز كثير

إلى أمي البرة الطاهرة
تخوفني نقمة الآخرة
ونار العذاب
وما قد أعدوه للكافرين
وللسارقين ، وللأعبين
وتهتف إن عثرت رجله
وإن أرمد الصيف أجفانيه
وإن طننت نحلة حوله
باسم النبي

وفي الليل كنت أنام على حجر أمي
وأحلم في غفوتي بالبشر

وعَسَفَ القَدْر
وبالموتِ حينَ يَدُكُ الحَياءُ
وبالسندباد وبالعاصِفَه
وبالغولِ في قِصرِه الماردِ
فأصرخُ رُعباً ...
وتهتفُ أُمي باسمِ النبي

صباي البعيد
وأرعدُ إن مَسَّ قَلبي رَجْعُ فَجائِعِهِ المَرَّةِ الجائِرِهِ
وهذا الرجل !!
أخي وابن أُمي
وكانتُ 'خطاهُ' 'خطى العنقوان'
وفي عَيْنِهِ وَمَنْضَةُ الكِبَرِيَاءِ
وفي ليلَةٍ عادَ من حَقْلِهِ
وقد قَطَّبَتِ وَجْهَهُ عِلَّتُهُ
ومات !

وفي حُفْرَةٍ من حفارِ الطريق
وهبناهُ للأرضِ باسمِ النبي
وجاءَ رجالٌ ، رجالٌ غلاظُ
ودَقُّوا الحديدَ على قبرهِ
حديدَ الطريقِ

أواحدتي... فكرةٌ طُوِّفَتْ برأسيَ ذاكَ المساءِ السحيقِ
أكان يُدَقُّ ضليبُ الحديدِ ؟
على رأسِهِ

يومَ كانَ قوياً تضجُ الحياةُ بشُريانِهِ ، ويفوحُ العرقُ
لو الأرضُ لم تزدِدهُ إليها ، أكانَ الحديدُ عليه يُدَقُّ ..؟
ومن موتهِ انبثقتِ صحتي
وأدركتُ يا فتنتي أننا
كبارٌ على الأرضِ ، لا تحتَهَا
كهذا الرجلِ

أواحدتي ... المساءُ السعيد

وطيفك يبهجني بالحياه
فأحبو إلى ذِكرَيَاتِ الشبابِ
عرفتُ به فوزةَ الأقوياءِ
بقلبي ، فأضحَتْ حياتي لهيب
وقالتْ لي الأرضُ « الملكُ لك »
تموتَ الظلالُ ويحيا الوهج

الملكُ لك

الملكُ لك

الملكُ لك

فيا صبيحةً لم يقلها نبي
ولا ساحرٌ همجي الصنَجُ
ولكنها في مساري الدماء
ومن نبضة الأذرعِ القادره
أواحدتي ، وعرفتُ القلمُ
كتبتُ به أحرفاً شاعره
ليعرف إخوتي الأصفياءُ

نشيد البناء
الملك لك ...

أواحدتي ، في المساء الأخير
ألوبُ إلى عُرفتي
ويزحمُ نفسي انبهار غريبُ
وأنظر يا فتنتي للسماءُ
ومن بابها الذهبي الضياءُ
يضيءُ الدجى بانهارِ النجومُ
ينورُ في وجنتيها السلامُ ...
وتصدحُ أجراسُها بالفرح
وأفرح يا فتنتي بالحياةِ
بالأرضِ ،
بالمملكِ ،
الملكُ لك

جارتى مَدَّتْ من الشرفَةِ حبلًا من نَفَمٍ
نَفَمٍ قاسٍ رتيبٍ الضربِ منزوفِ القرَّارِ
نَفَمٍ كالنارِ

نَفَمٍ يَقلعُ من قلبي السكينه
نَفَمٍ يورِقُ في رُوحى أدغالا حزينه
بيننا يا جارتى بحرٌ عميق

بيننا بحرٌ من العجزِ رهيبٌ وعميق
وأنا لستُ بقُرْصَانٍ ، ولمْ أركب سفينه
بيننا يا جارتى سبعُ صحارى
وأنا لمْ أبرح القريةَ مُذْ كنتُ صَبيا

أُلقيتُ في رجليَ الأصفادُ مذ كنت صبيّاً
أنتِ في القلعةِ تغفينَ على فرسِ الحريرِ
وتذودينَ عن النفسِ السّامةِ

بالمرايا والآلي والمطورِ
وانتظار الفارس الأشقرِ في الليلِ الأخيرِ
« أشريقي يا فتنتي »

« مولاي !! »

« أشواقي رَمَتْ بي »

« آه لا تقسم على حُبِّي بوجهِ القمرِ
ذلك الخداعُ في كُلِّ مساءٍ

يَكْتَسِي وجهاً جديداً ..

جارتني ! لستُ أميراً

لا ، ولستُ المضحكُ المراحُ في قصرِ الأميرِ

سأريك العجبَ المُعْجِبَ في شمسِ النهارِ

أنا لا أملكُ ما يَمَلأُ كفِّي طعاماً

وبخديك من النعمةِ تفاحٌ وسُكَّرٌ

فاضحكى يا جارّتى للتّمساء
 نغمى صوتك في كلّ فضاء
 وإذا يُولدُ في العتمةِ مصباحٌ فريدٌ
 فاذكري ...
 زيتُهُ نورٌ عيوني وعيونُ الأصدقاء
 ورفاقي طيبون
 ربما لا يملكُ الواحدُ منهم حشوةَ قفمٍ
 ويمرّون على الدنيا خِفافاً كالنّسمِ
 ووديعين كأفراخِ حمامةٍ
 وعلى كاهلِهِم عبءٌ كبيرٌ وفريدٌ
 عبءُ أن يُولدَ في العتمةِ مصباحٌ وحيدٌ ...

أغنية حب

وجهُ حبيبي خيمةٌ من نورٍ
شعرُ حبيبي حَقْلٌ حَنْطَةٌ
خدا حبيبي فلقتما رمانٍ
جيد حبيبي مَقْلَعٌ من الرخامِ
نهذا حبيبي طائرانِ توأمانِ أَرْغَبَانِ
حُضْنِ حبيبي واحةٌ من الكرومِ والعطورِ
الكنزُ والجنةُ والسلامُ والأمانُ
قربُ حبيبي

لقد صَنَعْتُ من ضلوعي ذلكَ الصُّندوقَ

أوتارُهُ الظلامُ والخيالُ ، 'مقلّتاَيَ عازفانِ'
وجئتُ بستانَكَ الصغيرِ ، يا مليكيةَ النساءِ
في غَبَشَةِ المساءِ
من بعد أن أنفقتُ يومي في الغناءِ للصِحَابِ
حدثتهم عن لوعتي ، يا جرحي ، المخضِلَ ، يا ذلّي ،
وكلّهم جريحٌ

وليس مثلي واحدٌ ...
جيد حبيبي مقلّع من الرخام
وجه حبيبي خيمة من نور
علّقتُ أقداري على خيطٍ رفيعٍ من ضياءِ

صنعتُ مركباً من الدخانِ والمدادِ والورقِ
رُبّاُنها أمهرُ من قادَ سفينا في خضمّ
وفوق قمة السفينِ يخفقُ العلمُ
وجه حبيبي خيمة من نور

وجه حبيبي بئرَقي المنشورُ
 جبتُ الليالي باحثاً في جوفِها عن لؤلؤه
 وعدتُ في الجرابِ بضعةً من المحار
 وكومةً من الحصى ، وقبضةً من الجمار
 وما وجدتُ اللؤلؤه
 سيدتي ، إليك قلبي ، واغفري لي ، أبيضُ كاللؤلؤه
 وطيبُ كاللؤلؤه
 ولامعُ كاللؤلؤه
 هديةُ الفقير
 وقد ترينه يزينُ عُشَّكَ الصَّغِيرُ ...

أناشيد غرام

- ١ -

يا أملاً تَبَسَّما
يا زَهْراً تَبَرَّعما
يا رشفةً على ظمًا
يا طائراً مفرداً 'مرنِّمًا
ما حَطَّ حقَّ حَوْماً
قلبي فريد
يفورُ فيه جُرحُهُ المديد
لأنه يا حَبِّي الوحيد
طفلٌ عنيد

مشرّدُ الخطى
يتوه في المدى
وراء نعمة بعيدة الصدى
لعلّهُ خداعُ
لعلّهُ في بحرِ الهوى الضياع
لكنّ ريحاً تنشرُ الشِراع
لرحلة بلا صَوَى
إلى الهوى .. !
إلى الهوى
للحبّ من جديد

وأنتِ يا حبيبتي أسقيتني خمره
في كأسٍ مدوّره
وطارَ قلبي ، ثم طرّت إثره
فلمستُ صاحباً لكي أراجعَ الهوى
لعلّني أكونُ

غرقتُ في دوامةِ الجنون
 لقد تركتُ العقلَ للذين يعقلون
 وكلُّ ما أدريه أنني فتنتُ بكِ
 بروحكِ الحبيّره
 والنظرةِ المنكسره
 والقامةِ المقتدرة
 وكلُّ شيءٍ فيك يا حبيبتى كأنه ذوّقي
 وما حلتُ أن أراه طيلة الأعوام

- ٢ -

'حبك'
 عصفورٌ ينقُرُ في بَيدَرِ
 قلبي بَيدَرِ
 عيناكِ 'نعاسٌ' مخمورٌ
 والخصلةُ ظِلِّي من وهجِ الخدين
 والشفَتين

خطٌ شَفَقِيَّ عَاتَقَ خَطًّا
 وهلالٌ من رَحْمَةٍ
 يُغْفِي في صَدْرِ هلالٍ من 'حُب'
 قالت شَفَتَاكَ نَعَمْ
 فأنا ملقَى فوق بساطِ الرِّيحِ إلهًا محبُورًا
 نَبَسَتْ شَفَتَاكَ بلا ...
 فأنا حائرٌ
 والظلمةُ 'تورقُ' في قلبي دَغْلًا
 فلنفرح يا حي ! فالعمرُ قصيرُ
 فلنفرح يا كنزَ الفرحَةِ ...
 يا كنزي ...

- ٣ -

أحبك يا ليلاي ، لا القلبُ غادرُ
 هواهُ ، ولا الأيامُ مُسْعِفَةٌ 'حُبِّي
 وأنتِ على البينِ المُشتِ وشيكةٌ

ولمّا تقبضُ الحاجُ للوالدِ الصَّبَّ
وكيفَ احتالي البعدَ ، والبعدُ لوعةٌ
وكيفَ 'مقامي' ، والهوى نازعٌ لبّي
وفي كل ما ترنو له العين ذِكرَةً
لهذا المحيّا الطلقِ ، والمبسمِ العذبِ
وأشجانِ ما نحكي وأحلامِ ما نرى
وأفباءِ عطفِ يستظلّ بها قلبي
وقلتُ لقلبي - والأمانِ تعلّةٌ
رسا زورقي بعدَ الترحّلِ يا قلبي
وها قد بدا الحبُّ الكبيرُ لناظري
نفضتُ يدي مما سواه من الحبِّ

- ٤ -

وللقمر ...
وجهك الطفلي
وللنسم

طباعكِ الرقيقة

وفي مساء الصيف

صفاءُ نفسكِ الحيةِ الحبيبة

أودعتهم - من قريتي - أمانةَ السلام

عليكِ يا حبيبتِي ، لأنهم أصحاب

وأن يوشوشوا جميعهم بأذنكِ الصغيره

في فجرِ يومِ العيد

« ليمتلئ بالفرحِ والأعيادِ 'عمرُكِ الطويل ،

وقال لي القمر :

« لقد دلفتُ في حياءٍ نحو فرسِها الصغير

ثم وقفتُ ذاهلاً كأنني مسحور

وكان وجهها 'منوراً كأنه' .. قرّر

وقلتُ : يا أختي تقبلي السلام

ثم تركتُ فوق خدّها 'نجيمتين

وقال لي النسيم :

« أحنيتُ رأسي عند بابها ، وكنتُ أرتجف

فطمأنتني ، ثم قالت : عم مساءً يا نسيمُ ، ما وراءك ؟
فقلتُ : يا مليكةَ النساءِ يبعثُ الفقى
من دارِهِ الريفية السلامَ لئليكه
وأحمرَّ خدَّها ، وتمتتُ بكلمتين حلوتين :
الشكرُ لكُ

تنفَسْتُ عندئذٍ في الغرفةِ الموسيقى
فللمتُ كَفَّاي ثوبي ، وانطلقتُ في حفيف

مع النِّغمِ

مع النغم

مع النغم ،

أما أخي ، زميل غربتي ، المساء

فقد غفًا يجاني ينتظرُ الجواب

وحين عادَ صاحباي غانمينُ

عانقتهُ ، ونمتُ في أحضانهِ الرحيبه

حبيبتى ! أتضحكينَ ؟ ... إنها أحلام

ما أجملَ الأحلام

لمثلنا ، لمن يمرهم شجى الأيام

- ٥ -

لحنُ الختام يا حبيبتى هو السلامُ والدعاءُ
وأن تكوني لي ... إلى الأبد
وأن يكون حبُّنا مباركاً كما الحياه
ونامياً عميقة جذوره في نفسنا
وأن نعيش هذه الأيام طاهرين شائخين
ممزوجة أقدارنا في كاسٍ نعبها معاً
وأن تكون مقلتناك آخر الذي أرى من الحياه
وحين يكون قلبك الكبير جنب قلبي
فالبحر لا يفصلنا
والنار لا تخيفنا
وكل شيء يا حبيبتى يهون
ما دمت لي ... إلى الأبد

رسالة الى صديقة

صديقتي

عمي صباحاً ، إن أذاك في الصباح
هذا الخطاب من صديقك المحطّم المريض
وادعي له 'إلهك الوديع' أن يشفيه
وسامحيه ، كيف يرجو أن 'ينمّق' الكلام
وكل ما يعيش فيه أجردٌ كئيبٌ .. ؟
فقلبه كسيرٌ

وجسمه مغللٌ إلى فراشه الصغير
وبالجراح والآلام 'قلبه' كسير
نهاره 'ثرثرة' العوادِ والصِحَابِ

وليله غرائب لم يحورها كتاب
 بالأمس في نومي رأيت الشيخ محيي الدين
 مجذوب حارقي العجوز
 وكان في حياته يُعَينُ الإله
 تصوُّري ، ويحتلي سناه
 وقال لي « ... ونسهر المساء
 مسافرين في حديقة الصفاء
 يكون ما يكون في مجالس السحر
 فظن خيراً ، لا تسلني عن خبر
 ويعقد الوجد اللسان ... من يبُح يضل
 وميت مغيضاً .. قاطع الطريق .. »
 ومات شيخنا العجوز في عام الوباء
 وصدقيني ، حين مات فاح ريح طيب
 من جسمه السليب
 وطار نعشه ، وضجت النساء بالدعاء والنحيب
 بكينته ، فقد تصرمت بموته أواصر الصفاء

ما بينَ قلبي اللجوجِ والسماء
بالأمسِ زارني ، ووجههُ السمينُ يستديرُ
... مثلَ دينارٍ ذهبُ
ومقلتهُ 'حلوانان ... جرتانِ من عسل
عميقتانِ بالسروور
بياضُ ثوبِهِ يكادُ يخطفُ الأبصارُ
وقال لي - وصوتهُ العميقُ كالنغم -
« يا صاح : أنتَ تابعي
فقم معي ..

ردْ مَشْرِعِي
فالأمرُ في الديوانِ ... 'قم' !
- يا شيخُ محيي الدينِ إنني كسير
- لا يُكسّرُ الجناحُ ، يا إنسانُ ، والإنسانُ داءُ قلبه
النسيانُ

- يا شيخُ محيي الدينِ إنني صغيرُ
- بل كلنا صغارُ ... الحبيبُ وحدهُ هو الكبير

لم أدر كيف غاب
لا من خلالِ باب
أنصتُ ، لم أسمعُ خطاهُ تلمسُ التراب
حدقتُ وانتفضتُ ، وانزعجتُ لحظةً ، وغاب

صديقتي ، إني مريض
وساعدي مكسور
ومُهْجتي على الفراشِ كلَّ ساعةٍ تسييل
وأغزو الترابَ في سكينتي رداء
وأصنعُ الأكفانَ ، ثم أنْجُرُ التابوت
هذا الصباح ...
أدرتُ وجهي للحياة ، واغتمضت ، كي أموت
في هدأةِ السكوت
قد آن للشعاعِ أن يغيب
قد آن للغريبِ أن يؤوب
للمركبِ الجانحِ أن يرْسُو على شاطئٍ قريب

للجدولِ الناضِبِ أنْ يُفْضِيَ إلى نهرٍ رحيبٍ
وطرقتين فوقَ بابنا ... موزّعُ البريدِ
لا ! لا أريدُ

هل مِنْ مُزِيدٍ يا حياة ، محنتي ! هل مِنْ مُزِيدِ
خطابُكَ الرقيقُ كالقميصِ بين 'مقلتي' يعقوب
أنفاسُ عيسى تصنعُ الحياةَ في الترابِ
الساقَ للكسيحِ
العينَ للضريرِ

هناةَ الفؤادِ للمكروبِ
المقعدونَ الضائعونَ التائهونَ يفرحون
كثُلها فرحتُ بالخطابِ يا مسيحي الصغيرِ ...

نام في سلام

« لذكرى قريبي وصديقي الطيار محمد نبيل الباجوري »

« استشهد على دمال غزة في سبتمبر عام ١٩٥٥ »

وأذرفت عيناه دمعاً السرور
ونسورت في وجهه النبيل بسمه وديعه
يحار في تأريلها القضاء
ومد كفه ، منارة الضياء
ثم أجال طرفه كأنه يبارك الحياة والأحياء
بنظرة باسمه تضاحيك السماء
ومات ذلك الوديع دون ما احتفال

معلّمًا ورائدًا في 'سنة الكمال'
أما التلاميذ الذين أنفقوا أيامهم محبةً للحكمة
فقد تهامسوا بدهشة
أبسم المعلم ؟ »

عندئذٍ أجاب أكثر الشباب فطنه
ألم يقل لنا المعلم الشهيد حكمة الأجيال
يا أيها الإنسان ...
إعرف نفسك ..

وهو يموت وادعاء ، لأنه عرف
فمات في سبيل 'سنة الكمال'

وجرّ آخر صليبه ، ووجهه يفور بالزبد
والجهد والرمضاء يغريان منكبين عارين
لكنه ابتسم
لأنه قد وهب الحياة
أيامه القليلة

لكي يزيدَ في هذّةِ ابتسامَةِ الصَّبِي
ونشوةِ العذراءِ
وفرحةِ الآباءِ بالأبناءِ
لكي ترفَّ في سحابةِ السماءِ
حمامةُ السلامِ

أما أخي « محمدٌ نبيلٌ »
فقد طوى جنازُهُ شوارعَ المدينةِ
في ظهرِ يومٍ قانِظٍ ، والناسُ مطرُقونُ
أحبابُهُ ، أحبابُنَا ، وأهلُ حَيِّنا القديمِ
وأعولتُ صبيةً في شُرفةٍ مهدومةِ
ودقَّ طبلٌ معولٌ ، وسارَ جندٌ واجمون
وساءَ لَتٌ مشيرةٌ عجوزُ
« في ذلك الصندوقِ ، من هذا الذي ثوى ؟ »
« هذا فتىٌ مجاهدٌ قد ماتَ في العشرين »
ولم تقلِ كُليمةً ، امرأةٌ غريبةُ

لكنَّهَا من قوْمِنَا ، في قلبها كنُوز
وتعرفُ الحنانَ والأحزَاب
فاندفعتْ بأكيةَ في زحمةِ الجِنَازِ
ومسُ لَحْمُهَا العجوزُ مِنْكِبِي وساعدي
وكانَ لَحْمُ مِنْكِبِي يغوصُ في الصندوق
وكلُّ شيءٍ كانَ هامداً كأنه يموتُ
لكنه يموتُ في عناقِ

وفي المدافن التي تنامُ في الحقولِ غيبوبةُ
لم يبقَ من هذا الوسيمِ غيرُ حفنةِ ترابٍ
ترابِ مصر

تعود كي تنامَ في حضنِ الترابِ
ترابِ جَدِّنا وأهلينا ، تنامُ
تنامُ في سلامٍ
وكانَ في وجهِ السما سحابة من الشَّفَقِ
حمراءُ مثلُ دَمٍ

وكان في طرفِ المدَى نَوَارةُ الحقُولِ
بيضاءُ مثلُ قلبِنا ، وقلبه ، وقلبِ ميتينِ آخرينِ
من قومنا المجاهدين الطيبين
من قومنا الذين باركوا الحياةُ

مرتفع أبداً

رفع العلم المصري على مبنى البحرية ببور سعيد

يونيه سنة ١٩٥٦

لترتفع ، لترتفع ، يا أيها المجيد
يا أجل الأشياء في عيني ، أنت يا خفاق
يا أيها العظيم ، يا محبوب ، يا رفيع ، يا مهيب
يا كل شيء كان في الحياة أو يكون
يا علّمي ، يا علّم الحرية
فداء تلك اللحظة المجيدة الثرية
مضى إلى السكون من أحبابنا ألوف

ليجعلوا قلوبهم تلاً من التُّراب
يقومُ فوقهُ العَلَمُ
ليفتلوا عُروقَهُمْ ساريةً مجيدةً
يزينُ فرعها العلمُ
لينسجوا أيامَهُمْ ديباجةَ خضراءُ
ترف في الهواءِ

كوجهيكَ النبيلِ ، يا علم
ومن بياضِ المقلتينِ ، حينَ تشخصانِ للسماءِ
تستمطرانِ - في ليالي اليأسِ بسمَةَ الرجاءِ
هلالُكَ الوسيمُ ، يا علم
فلترتفعُ يا أشرفَ الأشياءِ
أفديكَ صاعداً إلى السماءِ
كطائرٍ منَ الجنانِ ينقُرُ السحابَ والأجواءِ
برفّةٍ نبيلةٍ من ذلكَ الجناحِ
يهزُّ قلبنَا الحنينُ ، يا علم
في سحبةٍ صغيرةٍ من طرفِكَ المعقودِ

يموجُ 'جُبْنَا العميقُ' ، يا عَلمَ
لقد ملكتنا بوجهك الجميل
ورقةَ الجناح
وخفقك النبيل
ورقةَ الوشاح
وما اکتوينا في سبيل أن ترف يا علم

ليسترح على وسادِ الشمس خدك الرقيق
إلى الأبد
لتضحك السماء لك
سحابةٌ سخيةٌ تظلمك
والقمرُ الزاهي يُقبِّلُك
والشفقُ المخضوب بالدماءِ يفسِّلُك
لتحترق على المدى جُسومنا
لكي تنيرَ أنتِ
تغوصُ في جوفِ الثرى عظامنا

لَتَسْتَطِيلَ فِي قَلْبِ الثَّرَى سَارِيَتُكَ

وَتَرْتَفِعُ

وَمَا تَزَالُ تَرْتَفِعُ

يَا أَشْرَفَ الْأَشْيَاءِ

سأقتلك

أكتوبر سنة ١٩٥٦

سأقتلك
من قبلِ أن تقتلني سأقتلك
من قبلِ أن تغوص في دمي
أغوصُ في دمك
وليسَ بيننا سوى السلاح
وليحكمُ السلاحُ بيننا
سنابكُ الجدودِ وقعُها المهيّبُ ما يزال
يموجُ في ذاكرةِ الأيامِ

ونورُهُمْ يُخْتَالُ فَوْقَ مَفْرَقِ التَّارِيخِ
 فَهُمْ الَّذِي بَنَى حِجَارَةَ الْأَهْرَامِ
 لِكِي يُمَجِّدَ الْإِنْسَانَ حِينَ يَشْمَخُ الْإِنْسَانُ
 وَمِنْهُمْ الَّذِي بَنَى مَنَارَةَ الْإِسْلَامِ
 لِكِي يَقُولَ لِلْأَنَامِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وَنَحْنُ فِي حَاضِرِنَا الْمَجِيدِ نَصْنَعُ السَّلَامَ
 هَدِيَّةً مِنْ شَعْبِنَا لِلْعَالَمِ الْجَدِيدِ
 الْعَالَمِ الَّذِي يَرِيدُ
 يَرِيدُ لِلرَّجَالِ أَنْ يَعَانِقُوا الرَّجَالَ دُونَ حَقْدِ
 الْعَالَمِ الَّذِي يَرِيدُ
 يَرِيدُ لِلنِّسَاءِ أَنْ يُغْفِينَ وَادْعَاتِ
 فِي أَذْرَعِ الْأَزْوَاجِ وَالْأَحْبَابِ وَالْأَبْنَاءِ
 الْعَالَمِ الَّذِي يُصَبِّحُ الْأَطْفَالَ ، نَوْرَةَ الْأَمَلِ
 بِنُغْمَةِ الْحَنَانِ وَالْدُمَى وَبِالْقُبُلِ
 الْعَالَمِ السَّعِيدِ ، وَاحَةَ الْأَجْيَالِ
 فِي سَعْيِهَا قَوَافِلُ الْأَجْيَالِ ، نَحْنُ عَالَمِ سَعِيدِ

وأنتَ ، والإحمالُ والعَياءُ والظلامُ في خطاك
تريد أن يَصْفَرَّ في القلوبِ بُرْعُمُ الآمالِ
في عالمٍ سعيد
أقسمتُ بالأهرامِ والإسلامِ والسلامِ
سأقتُلُكَ
بكلِّ ما 'سقيتُ من مراره الأيامُ'
أغوصُ في دَمِكَ

أقسمتُ بالأخ الذي مضى ، وخلقتهُ بلا ثمنٍ
في عامِنَا الماضي ، ولم يُلَفَّ حول جسمه كَفَنٌ
لأنه احترق
على ترابٍ « غزاة » البيضاء بالطائرةِ احترق
كان اسمه « نبيل »
وكنتُ في محبَّتِي أدعوه 'بلبلي الحبيب'
وكان راعفَ الجناح ، دائبَ الأسفار
وكان حينما يعودُ ينقرُ الودادَ من 'فؤادي' ..

حبتين ... حبتين
فحبةٌ لجوعه ، وحبةٌ تَذْكار
وفي الأصيل ، كان يهدِلُ اللقاءَ غنوتين
فغنوةٌ لأهلنا ، وغنوةٌ للدار
لكنّه مضى ، وخلّته مضى بلا ثمن
أقسمتُ وجهكَ الجديبُ سوف يُصبحُ الثمنُ
من أجله سأقتلك
لأجل ثاره أغوصُ في دمك

الشمسُ في بلاد الشمس بهجةُ النظر
وفوق معطفِ السحاب يدُ رُجُ القبر
وتزدهي النجوم كالزهر
وفي ربي بلاد الشمس تورقُ الحياه
سنابلاً ذهباً
والشمسُ واللجينُ في صبا الأصيل ينسجان
مطارفاً ما حازَها في وهمِ فنان

أقسمتُ بالقمر
وبالسحابِ والزهر
وباللجين ، واهبِ الحياة
سأقتلك ،
من قبل أن تقتلني سأقتلك

أهلُ بلادي يصنعونَ الحب
كلامهم أنعام
ولغوهم بسم
وحين يسغبونَ يطعمونَ من صفاءِ القلب
وحين يظلمونَ يشربونَ نهلةً من حب
ويلغظون حين يلتقون بالسلام
— عليكم السلام
— عليكم السلام

لأنَّ من ذرَى بلادنا ترقق السلام
وفاضَ من بطاها محبةٌ خضراءَ مثل نبتةِ الحقُول

ورقةً بيضاءَ كالأزهار في الخميل
ورحمةً زهراءَ
كقلبِ أمهاتنا
كفرحنا بعيدنا
كالقطنِ حينَ يستنير لوزُهُ جنى
وأنتَ ، يا مُدنَّسَ الخطى
تريدُ ، بشسَ ما تريد
لكنني سأقتلك
من قبل أن تقتلني أغوصُ في دمِك

الشهيد

يا عجباً ، كلّ مساءٍ موعدي مع المضرّج الشهيد
كأنّ منديلَ الشفقِ
دَمُهُ

كأنّ مدرجَ الهلالِ كفّهُ ومعصمهُ
كأنّ ظلمةَ المساءِ معطفهُ
وبدرةَ السنا أزرارُ ستّرتهُ
كأنّهُ مسافرٌ على جوادِ الليلِ مشرقاً ومغرباً
كلّ مساءٍ بلا ملالٍ

يهيج في قلبي اللبّاعَ والشجى
لأن بين مقلتيه جرحاً ما يزالُ

و حين يوغلُ المساءُ ، أهتَفُ اسمهُ الحبيبُ
أدعوهُ أنْ يخف لي من أفقهِ الرقيبِ
يجيءُ .. لا يكسر قلبي
تجوزُ خفَّاهُ إلى جوارِي
ويتكئُ جنبي على سريري
لكنما عيناَيَ تطرفان ، تعشيانُ
وكيف لي ، وجرحهُ في وجهه مصباح
الصمتَ ! لا أحار منطقا
وربما أقولُ : أنت
وربما تطوفُ في وجهي أنفاسهُ
كأنما تقولُ جئتُ ...
لكنما ديكُ الصباحِ صاح في الأفق
لنفترق
لا تلهُ عن موعدنا ، إلى اللقا
و حين ينشُرُ الجناح
يقول خافقي : رأيتهُ

تقول مقلتي : كأنني رأيتُ

كل مساءٍ ينزلُ الشهيدُ في مدينته
يبثُّها أسواق قلبه البريءُ
وأمس مرَّ ثم حيًّا وجهه الوضيءُ
هنيهةً وماج ثوبه على استدارة الأفقِ
فوق رُبى المدينة الفساح
وانطفأت جراحه في صدرها الجريءُ
ونور المساءُ بالجراحِ
كأنه صباحٌ ...

أغنية فلانة

صنعتُ لك
عرشاً من الحرير ... مخملي
نحرتُه من صندل
ومسندين تتكئ عليهما
ولجة من الرخام ، صخرها ألماس
جلبتُ من سوق الرقيق قينتين
قطرتُ من كرم الجنان جفنتين
والكأسُ من بللور
أسرجتُ مصباحا
علقتُه في كوةٍ في جانب الجدار

ونورهُ المفضضُ المهيب
وظلُّهُ الغريب
في عالمٍ يلتفُ في إزاره الشحيب
والليلُ قد راحا
وما قدمتَ أنت ، زائري الحبيب

هدمتُ ما بنيت
أضمتُ ما اقتنيت
خرجتُ لك
علِّي أوافي بمملك
ومثلما ولدتُ - غير شملة الإحرام - قد خرجتُ لك
أسائلُ الرواد

عن أرضك الغريبة الرهيبة الأسرار
في هدأة المساء ، والظلامُ خيمةُ سوداء
ضربتُ في الوديان والتلاع والوهاد
أسائلُ الرواد

« ومن أراد أن يعيش فليمتْ شهيد عشق »
أنا هنا ملقى على الجدار
وقد دفنتُ في الخيال قلبي الوديع
وجسمي الصريع
في مهمه الخيال قد دفنتُ قلبي الوديع

يا أيها الحبيب
معذَّبِي ، يا أيها الحبيب
أليس لي في المجلس السنِّي حبة التبيع
فإنني مطيع
وخادمٌ سميع
فإن أذنتُ إنني النديم في الأسفار
حكايي غرائبٌ لم يحوها كتاب
طبائعي رقيقة كالخمر في الأكواب
فإن لطفك هل إليّ رنة الحنان
فإنني أدل بالهوى على الأخدان

أليس لي بقلبك العميق من مكان
وقد كسرتُ في هواك طينة الإنسان
وليس ثمَّ من رجوعٍ ...

أقول لكم

أَقُولُ — لَكُمْ

الشيء الحزين

هناك شيءٌ في نفوسنا حزينٌ
قد يختفي ، ولا يبينُ
لكنّه مَكْنُونُ
شيءٌ غريبٌ ... غامضٌ ... حنونٌ

لعلّه التّذكّرُ
تذكّر يومٍ تافهٍ بلا قرارٍ
أو ليلةٍ قد ضمّتها النسيانُ في إزارٍ
« لو غصتَ في دفائن البحارِ
لمجّعتُ كفتّاك من محارها ...

تَذْكَارُ »

لعلّه الندمُ
فأنتَ لوَ دفنتَ جثةً بأرض
لأورقتَ جذورها ، وأينعتَ ثمار
ثقيلةَ القدمِ

لعلّه الأسى
الليلُ حينما ارتمى على شوارع المدينة
وأغرقَ الشُّطَّانَ بالسكينة
تهدّمت معابرُ السرورِ والجلدِ
لا شيءَ يوقِفُ الأساةَ ... لا أحدُ

يستيقظ الشيءَ الحزينُ في أواخرِ المساءِ
يمورُ في الأطرافِ والأعضاءِ
ويثقلُ العينينِ والنبرةَ والإيماءِ

لكنتهُ حنون

يَضُمُّنَا فِي خَدَرٍ مُسْتَسْلِمٍ مَأْمُونٍ

أَنْفَاسُهُ تَنْدِي بِلَا لَزُوجَةٍ عَلَى الْجَبَاهِ وَالتَّرَائِبِ

وَتَوْقِظُ الشَّهْوَةَ وَالْأَحْلَامَ وَالْآمَالَ وَالْغَرَائِبِ

لَا تَسْأَلُ الشَّيْءَ الْحَزِينَ أَنْ يَمُرَّ كُلَّ يَوْمٍ

عَلَى مِرَافِقِ الْعَيُونِ

لَا تَسْأَلُ الشَّيْءَ الْحَزِينَ أَنْ يَبِينَ

... أَنْ يَبِينَ

لأنه مَكْنُونٌ

لَا تَسْأَلُ الشَّيْءَ الْحَزِينَ أَنْ يَقِرَّ

لأنه كَطَائِرِ الْبَحَارِ ... لَا مَقَرَّ

وَقُلْ لَهُ :

إِذَا أَهَلَ فِي الْمَدَى ، وَنَقَّرَ الْبَيَاضَ فِي عَيْنِكَ

وَعَيَّمَ الْمَكَانَ بِالْدموعِ مِثْلَ حُلْمٍ ...

« لَقَدْ مَلَكْتُتَنِي ... فَتَحَتُ لَكَ

صندوقَ قَلْبِي الْكَلِمِ

فلتقطرُ الدموعُ ... كالنَّغمِ

لو كان للانسان أن يعيشَ لحظةَ العذابِ ...
... مرتينْ

بكلِّ عمقها الكئيبِ الساذجِ المقرورِ
أن يَلِدَ الآهةَ ... مرتينْ

خالصةً بلا سرورِ

وأن يحسَّ ذلكَ الشيءَ الحزينَ جِسْتَيْنِ
لكي يرى 'فجاءتَه'

ويستبين وجهه 'ومشيته'

لو اتكأتَ أيها الشيءُ الحزينُ مرةً على مرافئِ العيونِ
لو ركبكَ المسافرونَ ...
... ينزلونْ

موت فلان

لم يَكْ يوماً مثلنا يستعجل الموت
لأنه كل صباح ، كان يصنع الحياة في التراب
ولم يكن كدأبنا يلفظ بالفلسفة الميتة
لأنه لا يجد الوقت
فلم يميل للشمس رأسه الثقيل بالعذاب
والصخرة السمراء ظلت بين منكبيه ثابتة
كانت له عمامة عريضة تعلوه
وقامة مديدة كأنها وثن
ولحية ، الملح والفلفل ، لونها
ووجهه مثل أديم الأرض مجدور

لكنه ، والموتُ مقدورُ ،
 قضى ظهيرةَ النهارِ ، والترابُ في يده
 والماءُ يَجْري بين أقدامه
 وعندما جاءَ ملاكُ الموتِ يَدْعُوهُ
 لوّن بالدهشةِ عيناً وفماً
 واستغفر الله
 ثم ارتقى ...
 والفأسُ والدرةُ في جانبهِ تَكَوّمَا
 وجاء أهلهُ ، وأسبلوا جفونهُ
 وكفّوا جثمانهُ ، وقبّلوا جبينهُ
 وغيبوهُ في الترابِ ، في منخفض الرمالِ
 وحدقوا إلى الحقول في سكينهِ
 وأرسلوا تنهيدةً قصيرةً ... قصيرةً
 ثم مضوا لرحلةٍ يخوضها بقريتي الصغيره
 ن أول الدهرِ ، الرجالُ
 من أول الزمانِ ...
 حتى الموتِ في الظهيرة ...

كلمات لا تعرف السعادة

ما يولد في الظلمات يفاجئه النورُ
فيعرّيه
لا يحيا حبٌ غوّارٌ في بطن الشك أو التمويه
لا يقتات الإنسانُ فم الجرح الصديان ...
... ويلتذُّ

لا توضع كفٌ في نارٍ ... لا تهتزُّ
أشباح الماضي بشسّ الرؤيا حينَ تجهنمها الغَيْرُ
فإذا لاقى قلبانِ ثقيلانِ الدنيا
ظنّا ما مات يكفّنُ في الكلماتِ الحلوه
في الألفاظِ البيضِ المجلوّةِ

في العهدِ المسبَلِ فوقَ الأَمَسِ
ودونِ اليومِ ، وحولِ الذِكرِ
وَوَهْمَا وَوَهْمَا ... قالا للنسيانِ
يا نسيانُ ،

اجمع ذِكرانا ، واقذفها في البحرِ
يا نسيانُ ، اجعل ماضينا من أصدافِ ،
مستقبلنا من قَبْرِ

فهما قلبانِ ، وإن فرحا بالعمرِ شقيانِ
عشنا ، عشنا

في مضجعنا مما عشناه نخبّي جزءاً ...
نكشفُ جزءاً
لو أَفْلَتَ حلقانا

لو قُلْنَا مما خَبَأْنَا شيئاً

لتفرقنا

لتفرق قلبانا ، وصَرَخْنَا نأياً ، نأياً

لتبدت في عينيما رؤيا

أشباح الماضي حين تجهنمها الغيره

لو كنا نملك شيئاً غير الحب لبعثرناه

فوق رؤوسِ الأحبابِ

لو قلبانا من ذهبٍ مكنوزٍ خلفَ جدار

لكشفناه

وملأنا راحاتِ الأحبابِ

لو قلبانا زادٌ من تمرٍ ومعينٍ أوقدنا النار

وجمعنا الأحبابِ

لو كنا نعرفُ أنَ نفرحَ فرحةَ طفلٍ غفلَ القلبُ

عرف الدنيا حبّاً ينمو في ظِلّةِ حب

لأذبنا الفرحةَ في أكوابِ الأحبابِ

لكنّا حين ضحكنا أمس مساءً

رنّتْ في ذيل الضحِكَاتِ

نبراتُ بكاءٍ

واتكأت في عَيْنيّ دَمِينات
أَغْنَفَتْ زَمَنًا في اسْتِحْياء
كانت عَيْنَاكَ تقولان لقلبي ولعَيْنَيْيَّة
الجرْحُ هنا ، لكنني أخْفِيه
وأَدَارِيه
لكن ما يولدُ في الظُّلُماتِ يُفاجِئُهُ النورُ
فيعْرِيه

لو كنا نَمْلِكُ أن نَتَمَنى ... ثم نَجَابُ
ونَعُودَ لنولِدَ ثَانِيَةً ... أَحْبَابُ
نَلْقَى الحبَّ جَدِيداً غَضَا
لم يَعْرِفْ قُلُوبَانَا مِنْ قَبْلِ لِقَانَا خَفِيقًا
لم تَلَسْ كَفْ سَاخِنَةٍ شَفَةِ مِنَا أَوْ عِرْقَا
لو كنا نَمْلِكُ أن نَحْيَا في قِمَاصِ الغَيْبِ المَسْدَلَةِ الأَكَامُ
حَقِ تَدْنِينَا الأَيَامُ
لو كنا نَمْلِكُ ما خَطَرَتِ في عَيْنِينَا رُؤْيَا

أشباح الماضي حين تجهنمها الغيره
لو كنا نملكُ

... ما ناشدنا النسيانُ

الألفاظ

فليعبثْ حلقكِ بالألفاظِ ، الألفاظُ (هواء)
من يمسكهُ أو يمسكُها .. تلك الألفاظُ الجوفاءُ
لكنْ هذي الألفاظُ تهب هبوب الريح على وجهي
أنا تُدْفِني الألفاظُ الحرَّى
وتُثَقِّفُني الألفاظُ الباردة الرعناءُ

لفظٌ حالمٌ
قد يولدُ في ليلٍ ناعمٍ
في حضن النيلِ الباسمِ

لفظ مصمتٌ
وأكاد أصيح بقائله : أصمت
فالجرح تدغدغه الألفاظ

لفظٌ قاتلٌ ،
ذو ألف لسانٍ تنفث سما
أو لفظٌ يُرَدِّني .. لا قطرةٌ دم
والسكينُ الألفاظُ تشق اللحمُ
وأظل أسائلُ : ماذا تعني في خاطرك الألفاظ
ألفاظٌ قاتلةٌ في رفقٍ ، خالصةٌ الكفين من الدم
أشياءٌ تافهةٌ هي عندك ... ألفاظٌ
كفسي ، كفسي ، إن الألفاظَ ثمارُ الأشجارِ
أبهى ما تحملُ من نوارٍ
وكما أن الشجرَ الطيبُ
يعطي ثمرأ طيبُ
فالإنسانُ الطيبُ

لا ينطق إلا اللفظ الطيب
يا سيدتي ، يا نبت الصحراء الجرداء
فلتقتصدي ، فلتقتصدي في الألفاظ
الألفاظ الجوفاء ...

أغنية خضراء

فيروزه
يا خضراء العنين
يا حبي ..!
لَمْ لَا تَرْضَيْنِ
وَكُنَّ عَلَيْنَا قَدْ خَطَّتْ أَقْدَارُ
وَكُنَّ الْغُرْبَةَ مِيقَاتُ لَا بُدَّ نَزْوِيهِ
أَنْ نَضْرِبَ أَعْوَامًا فِي التَّيْهِ
أَنْ نَعْبُدَ أَصْنَامًا مَكْذُوبَةً
وَنَجْذِفَ بِالْقَلْبَيْنِ ، وَقَدْ خَاضَا لِلْحَبِ
صَحْرَاءَ الشَّوْقِ ... رَهِيْبَةٍ

يا فيروزه

في ظل الليل نثرتُ العمرَ نثاراً

أياماً جائعةً ... داراً

وليليّ مثقلةً أوزاراً

أو أفكاراً

وصُباتٍ من كأسِ الحبِّ جَرَعْتُ على غصته

كم من شفةٍ حمراءِ الظِّلِّ

سوداءِ القلبِ على غلِّ

أو عينٍ تَبَحْثُ في رُوحِي عن سري

عن كنزٍ غافٍ في صدري

لتبعثره أخباراً

أو تحرقه ناراً تتدفقاً

في شعلتها أيامٌ باردة ... جوفاً ...

أنا مصلوب ، والحب صليبي

وحملتُ عن الناسِ الحزانَ

في حبِّ إله مكذوبِ

لَمْ يَسْلَمْ لِي مِنْ سَعْيِي الْخَاسِرِ إِلَّا الشَّعْرُ
كَلِمَاتِ الشَّعْرِ

عَاشَتْ لَتَهْدِيَنِي

لَأَفِرَّ إِلَيْهَا مِنْ صَخَبِ الْإِيَّامِ الْمُضْنِي

إِنْ تَجَفُّ فَجَفْوَةٌ إِدْلَالٍ لَا إِذْلَالٍ

أَوْ تَحْنُ ، فَيَا فَرَّاحِي غَرَّدْ ، يَا نِعْمَةَ أَيَّامِي عَوْدِي

يَا فَيْرُوزَه

يَا أَصْحَابِي ! يَا أَحْبَابِي

حَيُّوا مَوْلَايَ الشَّعْرُ

سَلِمَتْ لِي - مِنْ 'عُقْبَى أَيَّامِي - الْكَلِمَاتُ

وَفَدَا فِي لَيْلَةٍ صَيْفُ

وَلَجَا مِنْ بَابِ الْقَلْبِ كَمَا يَلْجُ الضَّيْفُ

كَأَنَّا بَسَامَيْنِ

صَنَعَا إِيمَاءَةً نُبِّلُ

قَالَا لِلْقَلْبِ : سَعِدْتَ مَسَاءً يَا قَلْبُ

وتقدّمَ هذا المحبوبُ .. الحُبُّ
 ورَمَى في قلبي فينرُوزه
 خضراءَ بلونِ الآمالِ
 وأشارَ .. وقالُ
 قم يا شادي ... غرّدْ ... بارِكْ للحبِّ
 كرّسْ هذا الاسمَ العذبَ
 وتقدّمَ هذا المحبوبُ ... الشعرَ
 وبإصبعه فكّ الخِتمَ وافشى السرَّ
 أنشأتْ أغرّدُ في صَوْتِ بالدَمْعَةِ رطبِ
 لليلِ ، ولل فجرِ الغافي بالبابِ
 ولأصحابي
 للعنينِ الخضراوينِ
 للملكينِ
 خرجا من داري مُعْتَنِقَيْنِ سَعِيدَيْنِ
 في الليلِ دعوتُ بقلبٍ مكروبِ

فليشملي ظلّ العينينِ الخَضراوين
ولتخضرّ الكلماتُ بروحي
ولترقُدْ ليلائي في بَحرِ السَّعدِ الأَخْضرِ
ولتورقْ خضراءُ الأصباحِ
خضراءَ بلونِ الفيروزه

يا فيروزه
إني ألقيتُ الحِمْلَ على البابِ الأَخْضرِ
وشفيعاي المَلَكِ المَحبوبانِ
لكنّ البابَ يَصُدُّ صدوداً مُرّةً
وأظِلُّ على الأبوابِ طريحاً مجروحاً
يا حيي ..!
الدربُ مَضَلَّةٌ
والطرقُ على الأبوابِ مَذَلَّةٌ
يا حيي ،
فلتفتحْ لي الأبوابُ ،

... فقد أقصاني الحُجَّابُ
 ومكاني لم يملأهُ غيري إنسانُ
 يا حُبِّي ...
 فلتفتح لي الأبوابُ ،
 أنا الشادي الفارسُ
 أشعاري وردُ البستانِ
 سمرُ الركبانِ على الوديانِ
 وأنا من فتيانِ القريةِ
 أوفاهمُ في الحبِ
 وشجاعةُ قلبي مرويةُ
 يا حُبِّي ، فلتفتح لي الأبوابُ
 إني أخشى هذا الليلُ
 يتحدّر من خَلْفِ الأفقِ النائي كالسَيْلِ
 يا حيي ، قولي للحُجَّابِ
 فلتفتح لي الأبوابُ ،
 أنا الشادي الإنسانُ

قالت

قالت ...

لا يولدُ إنسانانِ على قدرٍ إلا التقيا

فمقَى ألقاهُ ؟

أيامي موحشةٌ ، ولياليٌ تُؤانسُها الآه

قالت ...

إني أنظرُ في أحداقِ الناسِ وفي شَفَتَيْهِمْ

أتملأه ...

ووجدتهمو أغراباً عن روحي ، وأخو الروحِ بعيدٌ

ما أقساهُ

قالت ...

في ذات مساء سوف 'يهل' على 'دنياي ...
أنا 'دنياه

سيمدّ إليّ يَدَيْهِ ، وينادينني ، وسأعرفه
وسأخطُرُ في يمناه

يا أختي ، أنا قد أنفقتُ الأيامَ أحاورُها وأداجيها
وكانَ الله

لم تَنسِجْ كَفّاهُ لقلبي قدرِي الإنسانَ ... الله
ينسانا يا أختاه ...

هل كان حباً

هل كان ما بيننا
حباً ... وعشناه
أم كان 'حلماً' ... عندما
أدركنا الصبح 'نسيئناه'
أم أننا خفنا على قلوبنا
وفي ثرى الخوف 'دفئناه'
لو عاش ، لو فتحت للشمس 'عيناه'
كنّا 'رعيناه'
لما تركناه
في مهمه 'قاس' رَمَيْنَاهُ

في قلبه أنفاسه تبكي
أنا هجرناه
يا أيها الحب الذي مات
لو يرجع اليوم الذي فات
لو عاد يوم منك ...
عشناه ...

العائد

طفلنا الأولُ قد عادَ إلينا
بعد أن تاهَ عن البيتِ سنينا
عاد خجلانَ ... حياءَ ... وحزيناً
فتلمسنا بكفٍ نبَضَتْ فيها عروقُ الرِّعْشَةِ الأولى الجَبِينَا
وتعرَّفْنَا عليه
وبكى لما بكينا في يَدَيْهِ
وارتمى بين ذراعينا ، وأغفى مطمئناً ، وغَفَوْنَا
وتكسرنا على عَيْنِيهِ ظِلًّا
وتهدجنا على مبسمه المزمومِ أنفاساً نَدِيَّاتٍ
... وطَلًّا

واستدَرْنَا حَوْلَهُ
شفقاً أَسْمَرَ من حَوْلِ هلالِ نائمٍ في قلبنا

كان طفلاً عندما كَفَرَ عن البيتِ وولّى
من سنينٍ عشرةٍ ، ذات مساء ، كان طفلاً
وافتقدناه ، وناديناهُ في أحلامنا
وانتظرنا خَطْوَهُ المُخَضَّرَ في كلِّ ربيعٍ
وشكونا جرحَهُ خِلَانَنَا
وتسلينا بكأسٍ مرةٍ من يأسنا
وتناسيناهُ إلا رِغْدَةً تَجْتَاحُنَا أَوَّلَ أيامِ الربيعِ
عندما نشعر بالشوق إلى طفلٍ وديعٍ
عندما تلقى بنا وحدثنا في وهَمِنَا
عندما يعصُرُ قلبينا ضنًى مُرٌّ وجوعٌ للفرحِ
لائبٌ يسألُ عن فرحتنا

نَعِمَةً بين الليالي ليلةً عادَ إلينا في دُجَاهَا

وَتَعَرَّفْنَا عَلَيْهِ
وَبَكَى لَمَّا بَكَيْنَا 'ذَلَّتْنَا عَشْرَ سَنِينَ فِي يَدَيْهِ
ذَلَّتْنَا عَشْرَ سَنِينَ ، 'شَيَّبَتْنَا مِنْهَا الْجِبَاهَا
جَعَلَتْنَا مِنْهَا عَمِيداً لِلْأَسَى
وَهُوَ مَا زَالَ صَغِيراً ، وَإِلَهَا

نَحْنُ لَمْ نُنْسَ ، وَلَكِنْ طَوَّلَ الْجَرْحَ يَغْرِى بِالتَّنَاسِي
عِنْدَمَا يَخْلَعُ صَيْفٌ ثَوْبَهُ بَعْدَ شَتَاءٍ مَكْفَهَرٍ الْوَجْهَ قَاسٍ
وَعَلَى عَقْبَيْهِمَا يَأْتِي خَرِيفٌ 'مَجْدِبٌ' دُونَ نَدَاوَةٍ
وَتَعْرِى كَفُّهُ الْعَالَمَ مِنْ كُلِّ بَهَاءٍ وَحُلَاوَةٍ
عِنْدَمَا يَنْقَلِبُ التَّمْدُّ كَارُ عَيْباً وَعَذَاباً وَقُصُوراً
وَبُكَاءٍ أَخْرَسَ النَّهْرَةَ وَخَشِيتُهَا ضَرِيراً
عِنْدَمَا يَلْجِئُنَا الْحُزْنَ إِلَى بَطْنِ جِدَارٍ
لَيْسَ فَوْقَنَا مِثْلَ تُرَابِ الْمَوْتِ زَهْرَةٌ
زَهْرَةٌ مَيِّتَةٌ طَالَ عَلَيْهَا الْإِحْتِضَارُ
لَا نَرَى إِلَّا التَّنَاسِي مَهْرَباً مِنْ مَوْتِنَا

موتنا القادم في ضوءِ النهار

قل لنا ، يا أيها العائدُ ... من أيّ طريقٍ جئتنا
أي كَفٍ مَسَحَتَكَ
وعلى بحر الليالي حَمَلَتَكَ
نَحُونَا

بعد أنْ شلناك حزناً هادئاً في جفنتنا
وحملناك أَسَىً في صوتنا
ومشينا بك في أعصابنا خطوآ ثقيلاً
وبكيناك - بلا دمعٍ - طويلاً
ويئسنا منكَ يأساً كبريائياً نبيلاً

قل لنا يا أيها العائد في أيّ سحابه
خزنتك النعمةُ الكبرى لنا
لتروني مَغْرِبَ العمر لشيخيك هنا
قل لنا يا أيها العائد هل أنتَ مقيمٌ بيننا

واتئد يا طفلنا الأوحـد ...
فالدنيا عقيمٌ وعجوزٌ
لم يعد غيرُكَ في الدنيا ... لنا

ثلاث طُورٍ من غزوة

- ١ -

لم يكُ في عيونيهِ وصوته ألمٌ
لأنه أحسَّ سنه

ولا كَهْ . . . استنشقه سنه

وشاله في قلبهِ سنه

وطالت السنون أزمنة

فأصبحت آلامه - في صدرِه - حقدًا

بل أملًا ينتظر الغدا

-٢-

يا أيها الصغار
عيونكم تحرقني بنار
تسألني أعماقها عن مطلع النهار
عن عودة إلى الديار
أقول ... يا صغار
لننتظر غداً
لوضاع منا الغد ، يا صغار ...
ضاع عمرنا سدى

-٣-

كانت له أرض وزيتونه
وكرمة ، وساحة ، ودار
وعندما أوفت به سفائن العمر إلى شواطئ السكينة
وخط قبره على ذرى التلال
انطلقت كتائب التتار

تذودُهُ عن أَرْضِهِ الْحَزِينَةِ

لكنَّهُ خَلْفَ سِيَاكِ الشُّوكِ وَالصَّبَّارِ ظِلٌّ وَاقِفًا ...

بِلا مَلَالٍ

يَرْفُضُ أَنْ يَمُوتَ قَبْلَ يَوْمِ ثَارٍ

يَا حُلُمَ يَوْمِ الثَّارِ

أبو تمام

« في مهرجان أبي تمام ١٩٦١ »

الصوتُ الصارخُ في عموريه
لم يَذْهَبْ في البرِّيَّةِ
سيفُ « البغدادي » الثائرُ
شقَّ الصَّحْرَاءَ إليه ... لبَّاهُ
حين دَعَتْ أختُ عَربيَّةِ
وامعتصماه
لكنَّ الصوتَ الصارخَ في طَبْرِيَّةِ
لبَّاهُ مؤتمرانُ

لكن الصوت الصارخ في وهران
لَبَّتْهُ الأَحْزَانُ
يا سيفَ المعتصمِ الثائرِ
اخْلَعْ غَمْدَ سَحَابِكَ ، وانزِلْ في قلبِ الظُّلْمَةِ
شَقَّ العَتَمَةِ
واضربْ يَمْنَى في طَبَرِي
واضربْ يُسْرَى في وَهْرَانِ

في موعد تَذْكَارِكَ يا جَدُّ
يلقى الأبناءُ الأبناءُ
يتعاطونَ أفاويقَ الأنبياءِ
والسيفُ المغمدُ في صدرِ الأختِ العربيَّةِ
ما زال يشقُّ النهدينِ
وأبو تمام الجدَّ حزينٌ لا يترنمُ
قد قال لنا ما لم نفهمُ
والسيفُ الصادقُ في الغمدِ طويناهُ

وَقَنَعْنَا بِالْكُتُبِ الْمَرْوِيَّةِ

يَوْمُكَ لَا يَسْقِينَا فَرَحًا

أَوْ يَسْقِيكَ رِضًا

التَّذْكَارُ ثَقِيلٌ حِينَ حَمَلْنَاهُ

نَدْمًا

وَالْحَسْرَةُ فِي وَجْهِكَ بَعْدَ الْأَعْوَامِ ... الْأَعْوَامُ

صَارَتْ أَلْمًا

وَلِقَاءُ الْجَدِّ أَبِي تَمَامٍ

عِيدٌ لِلْأَحْزَانِ الْمُرَقَّةِ الْأَكْثَامِ

عِيدُ تَعَلَّاتٍ وَكَلَامٍ

عِيدِ دِمَا

تَطْلُبُ سُقْيَاهَا ، فَتُجَابُ ظَمًا ...

أحبك

لا ، لا تنطق الكلمة
دعها يحوِّفِ الصدرِ منبهمه
دعها مغنمةٌ على الخلقِ
دعها ممزقةٌ على الشدقِ
دعها مُقطَّعةٌ الأوصالِ مَرْمِيه
لا تجمعِ الكلمة ...
دعها رماديه
فاللون في الكلماتِ ضَيَعَنَا
دعها غماميه
فالخصبُ شَرَدَنَا وجَوَّعَنَا

دعها سديمه
فالشكّلُ في الكلماتِ توهّنا
دعها 'ترابيه'
لا تلقِ نبضَ الروحِ في كلمته

كم مرةٍ جاشتْ بيَ الكلمه
وبدّتْ لعيني ، وهي تستأني
فوقَ الشِفاهِ رقيقهٌ 'تخني'
جيداً ، وتستدني
خدينِ مضمومينِ في بسْمه
وتكادُ تغلبُني على قصّدي
لأقولَ ما أعني
وأفكّ طِلسمي ، وأجمعَ مِنِ
حلقي الشباكَ لتفكّلتِ الكلمه
وأعودُ أذكُرُ مرةً سلّفتْ
عامين من بأسائها اغترفتْ

روحي الكتومُ لأنها اعترفتُ
وسقطتُ تحتَ سنابك الكلمةُ

لا ، لا تنطقِ الكلمةُ ...
حقى ولو ما جتْ بوجهِ النيلِ
أنسامُ ليلةِ صيفِ
حقى ولو رَفَتِ على أرغولِ
محرورةٌ ، نَعْمَةٌ
حقى ولو في الرملِ خطَّ الإلفِ
حرفينِ مَلَوِيَّينِ
حقى ولو طالعتْ في عينيه ... في العُمَقَيْنِ
قَسَمَاتِكَ المحمومةَ الشَفَتَيْنِ
وتَسَاءَلَتِ شفتاكِ ... ما كَلِمَهُ ؟
تهدي لحدِ بِاسْمِ ... نَعْمَةٌ
وتنامُ في كفينِ ممدودينِ
وتطوفُ أنفاساً على نَهْدَيْنِ

ما أَجْمَلَ الكَلِمَةَ ..!

ها قد نَسِيتَ حَيَاتَكَ الأولى
والجرحَ والذَّلَّةَ

ها قد جَمَعْتَ الحَرْفَ جَنْبَ الحَرْفِ والحَرْفَيْنِ

لَمَعْتَ بِشَيْءٍ دَافِيٍّ مَقْلَةٍ

وَتَمَدَّدَ الإِعْيَاءُ فِي الشَّفَتَيْنِ

وَعَدَا جَسُورٌ كَانَ مَغْلُولًا

وَسَقَطَتْ تَحْتَ سَنَابِيكِ الكَلِمَةِ ..

الظلم والصليب

- ١ -

هذا زمانُ السَّامِ
نفخُ الأراجيلِ سَامِ
دبيبُ فخذِ امرأةٍ ما بَيْنَ إلَيَّيْ رَجُلٍ ...
سَامِ
لا عمقَ للألَمِ
لأنه كالزيتِ فوقَ صفحةِ السَّامِ
لا طعمَ للندَمِ
لأنهم لا يَحْمِلُونَ الوِزَرَ إِلَّا لحظةً ...
ويهبطُ السَّامِ

يَفْسِلُهُمْ مِنْ رَأْسِهِمْ إِلَى الْقَدَمِ
طَهَارَةٌ بِيضَاءَ تَنْبَتُ الْقُبُورَ فِي مَغَاوِرِ النَّدَمِ
تَدْفِنُ فِيهَا جُثَثُ الْأَفْكَارِ وَالْأَحْزَانِ ، مِنْ
تُرَاهَا ...

يَقُومُ هَيْكَلُ الْإِنْسَانِ
إِنْسَانُ هَذَا الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ
« أَنَا رَجَعْتُ مِنْ بَحَارِ الْفِكْرِ دُونَ فِكْرِ
قَابِلِي الْفِكْرِ ، وَلَكِنِّي رَجَعْتُ دُونَ فِكْرِ
أَنَا رَجَعْتُ مِنْ بَحَارِ الْمَوْتِ دُونَ مَوْتِ
حِينَ أَتَانِي الْمَوْتُ ، لَمْ يَجِدْ لَدَيَّ مَا يُمِيتُهُ ،
وَعُدْتُ دُونَ مَوْتِ

أَنَا الَّذِي أَحْيَا بِلَا أُبْعَادِ
أَنَا الَّذِي أَحْيَا بِلَا أَمَادِ
أَنَا الَّذِي أَحْيَا بِلَا أَمْجَادِ
أَنَا الَّذِي أَحْيَا بِلَا ظِلٍ ... بِلَا صَلِيبِ
الظِّلِّ لَصِّ يَسْرِقُ السَّعَادَةَ

وَمَنْ يَعِشْ بِظِلِّهِ يَمْشِي إِلَى الصَّليبِ ، فِي نَهَاةِ
الطَّرِيقِ

يَصْلِبُهُ حُزْنُهُ ، تَسْمَلُ عَيْنَاهُ بِلَا بَرِيقِ
يَا شَجَرَ الصَّفصَافِ : إِنَّ أَلْفَ غُصْنٍ مِنْ غُصُونِكَ
الْكثِيفَةِ

تَنْبَتُ فِي الصَّحْرَاءِ لَوْ سَكَبْتُ دُمْعَتَيْنِ
تَصْلِبُنِي يَا شَجَرَ الصَّفصَافِ لَوْ فَكَرْتُ
تَصْلِبُنِي يَا شَجَرَ الصَّفصَافِ لَوْ ذَكَرْتُ
تَصْلِبُنِي يَا شَجَرَ الصَّفصَافِ لَوْ حَمَلْتُ ظِلِّي فَوْقَ
كِتْفِي ، وَانْطَلَقْتُ

وَانْكَسَرْتُ

أَوْ انْتَصَرْتُ

إِنْسَانُ هَذَا الْعَصْرِ سَيِّدُ الْحَيَاةِ

لأنه يعيشها سَام ...

يَزْنِي بِهَا سَام ...

يَمُوتُهَا سَام ...

- ٢ -

قُلْتُمْ لِي :

لا تَدُسُّ أَنْفَكَ فِيمَا يَعْنِي جَارَكَ
لَكِنِّي أَسْأَلُكُمْ أَنْ تَعْطُونِي أَنْفِي
وَجْهِي فِي مِرَآئِي مَجْدُوعُ الْأَنْفِ

- ٣ -

مَلَا حُنَّا يَنْتِفِ شَعْرَ الذَّقْنِ فِي جُنُونٍ
يَدْعُو إِلَهَ النِّعْمَةِ الْمَحْنُونِ أَنْ يَلِينَ قَلْبَهُ ، وَلَا يَلِينِ
« يَنْشُدُهُ أَبْنَاءَهُ وَأَهْلَهُ الْأَدْنَيْنِ ، وَالْوَسَادَةُ الَّتِي
لَمَّى عَلَيْهَا فَخَذَ زَوْجِيهِ ، أَوْلَدَهَا مُحَمَّدًا وَأَحْمَدًا
وَسَيِّدًا
وَحُضْرَةَ الْبَكْرَ الَّتِي لَمْ يَفْتَرِعْ حِجَابَهَا إِنْسٌ
وَلَا شَيْطَانٌ ،
« يَدْعُو إِلَهَ النِّعْمَةِ الْأَمِينِ أَنْ يَرْعَاهُ حَقَّ يَقْضِي
الصَّلَاةَ ،

حتى يوتي الزكاة ، حتى ينحصر القربان ، حتى يبتني
 بحجر ما له كنيسةً ومسجداً وخان ،
 للفقراء التاعسين من صعاليك الزمان
 ملاحنا يلوي أصابعاً خطاطيفاً على المجنداف والسكان
 ملاحنا هوى إلى قاع السفين ، واستكان
 وجاش بالبكا بلا دمع ... بلا لسان
 ملاحنا مات قبيل الموت ، حين ودّع الأضحاب
 ... والأحباب والزمان والمكان
 عادت إلى قمقمها حياته ، وانكمشت أعضاؤه ، ومال
 ومد جسمه على خط الزوال
 يا شينخن الملاح ...
 .. قلبك الجريء كان ثابتاً فما له استطير
 أشار بالأصابع الملوّية الأعناق نحو المشرق البعيد ...
 ثم قال :
 — هذي جبال الملح والقصدير
 فكلّ مركب تجيئها تدور

تَحْطُمُهَا الصُّخُورُ

وانكبتا .. ندنو من المَحْظُورِ ، لنْ يُفْلِتْنَا المَحْظُورُ

- هذي إِذْنُ جِبَالِ المِلْحِ والقَصْدِيرِ

وافرحاً .. نَعِيشُ فِي مَشارِفِ المَحْظُورِ

نموتُ بَعْدَ أَنْ نَذُوقَ لَحْظَةَ الرَعْبِ المَرِيرِ والتَّوَقُّعِ المَرِيرِ

وبعدَ آلاَفِ اللَّيالي مِنْ زَمَانِنَا الضَّرِيرِ

مَضَتْ ثَقِيلَاتِ الحُطَى عَلَى عَصَا التَّدَبُّرِ البَصِيرِ

مَلاحِنًا أَسْلَمَ سُورَ الرُّوحِ قَبْلَ أَنْ نُتْلِمِسَ الجَبَلِ

وطارَ قَلْبُهُ مِنْ الوَجَلِ

كانَ سَليمَ الجِسمِ ، دُونَ جَرَحٍ ، دُونَ خَدَشٍ ، دُونَ دَمٍ

حِينَ هَوَتْ جِبَالُنَا بِجَسَمِهِ الضَّئِيلِ نَحْوَ القَاعِ

ولم يَعرِشْ لِيَنْتَصِرْ

ولم يَعرِشْ لِيَنهَزمَ

مَلاحُ هَذا العَصْرِ سَيِّدَ البَحَارِ

لأنه يَعرِشُ دُونَ أَنْ يُرَيِّقَ نَقْطَةً مِنْ دَمٍ

لأنه يَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يَصَارَعَ التِّيَّارَ

هذا زَمَنُ الحقِّ الضائع
لا يعرفُ فيه مقتولٌ مَنْ قَاتِلُهُ ومَنْ قَتَلَهُ
ورؤوسُ الناسِ على جثثِ الحيواناتِ
ورؤوسُ الحيواناتِ على جثثِ الناسِ
فتحسَسْ رأسك !
فتحسَسْ رأسك !

أَقُولُ — لَكُمْ

١ - من أنا

سأحكي حِكْمِي للناسِ ، للأصحابِ ، للتاريخِ ، إن أذِنْتَ
مسامعهُ الجَلِيلَةَ لي ، فإن طابَتْ وإن حَسُنَتْ
سيفرحُ قلبي المملوءُ بالحبِّ ، يفيضُ القلبُ
إذا ما أغفَتِ الكَلِمَاتُ في الأسماعِ مَانَّةً
منداةً بعطرِ الحبِّ

إذا ما صادَفَتْ كَلِمَاتُنَا - الشعراءَ - شعراً في مسامعكم
إذا ما قال قائلكم

وراءَ الكَلِمَةِ المِهْمُوسَةِ التَرْجِيْعِ قلبٌ عاشٍ
وإنسانٌ أحبُّ ، ووجهٌ غَانِيَةٌ ، وكأسٌ مرٌّ
وحفنةٌ بُرٌّ

وَسَعْفِيُّ فِي فَجَاجِ الْأَرْضِ يَا أَصْحَابَ

وَأَعْلَمُ أَنْكُمْ كَرَمَاءُ
وَأَنْكُمْ تَحْبُونَ الْقَرِيضَ وَأَهْلَهُ الشُّعْرَاءُ
وَأَنْكُمْ سَتَغْتَفِرُونَ لِي التَّقْصِيرَ عَنْ سَبْقٍ إِلَى تَعْبِيرِ
وَعَنْ تَدْوِيرِ مَا يَمْتَدُّ فِي الدُّنْيَا إِلَى كَلِمَاتٍ
وَعَنْ بَسْطِ الَّذِي يَلْتَفِ فِي نَفْسِي إِلَى كَلِمَاتٍ
وَعَنْ تَنْغِيمِ هَذَا الزَّمَنِ الْمَوْحِشِ مُوسِيقَى
وَعَنْ وَحْشَةِ مُوسِيقَى السَّمَاءِ بِقَلْبِي الْمَوْحِشِ

وَأَعْلَمُ أَنْكُمْ كَرَمَاءُ
وَأَنْكُمْ سَتَغْتَفِرُونَ لِي التَّقْصِيرَ ... مَا كُنْتُ أَبَا الطَّيِّبِ
وَلَمْ أَوْهَبْ كَهَذَا الْفَارِسِ الْعَمَلِاقِ أَنْ أَقْتَنَصَ الْمَعْنَى
وَلَسْتُ أَنَا الْحَكِيمَ رَهينَ مَحْبَسِهِ بَلَا أَرْبِ
لَأَنِّي لَوْ قَعَدْتُ بِمَحْبَسِي لَقَضَيْتُ مِنْ سَفَبِ
وَلَسْتُ أَنَا الْأَمِيرَ يَعِيشُ فِي قَصْرِ مَحْضَنِ الذَّيْلِ

يناغيه 'مغْنِيهِ
وملعة" من الذَّهَبِ الصريحِ 'تطل' من فيه
ولكني تعذبت لكي أعرفَ معنى الحرفِ
ومعنى الحرفِ إذ يجمعُ جنبَ الحرفِ
ولكني تعذبت لكي أحتالَ للمعنى
لكي أملكَ في حوزتي المعنى مع المبنى
لكي اسمعكم صوتي في مجتمع الأصوات

وقفتُ أمامكم ورفعتُ كفتي قائلاً .. هيا
هنا إنسان ...

يريدُ يديرُ في فِكْيِهِ أَلْفُظاً يدخرُجُها إلى الإنسان
لتصنع نقمةً في القلبِ أو فرحاً
تكونُ مجتنَ من جرحاً
وسهماً في حشا القاسي الذي جرحاً

وقفتُ أمامكم بالسوقِ يا أهلي ... أنا ابنكمو الذي ...

... من حجرٍ نُقِرَا

وأعلى فوقه البَنَاءُ

بناءً زاهيَ الطلعة

مربعةً جوانبه ، ومَطلِيًا بماء السَّعد

لكي تأوي له أحلامُكم ، والدفءُ ، والزوجاتُ ، والأبناءُ

شفيعي أنتمو للشيخ ، هذا الأبدِ المرهوبُ

لكي يحفظ في واحة الأيام ...

... إسمًا ساذجًا للغاية

يجنبِ الفارسِ العملاقِ ،

والشيخِ الضريرِ ،

وحاملِ الراية ...

٢ - الحب

لأنّ الحبّ مثل الشعر... ميلادٌ بلا حُسبانٍ
لأنّ الحبّ مثل الشعر، ما باحت به الشفتان
بغير أوانٍ

لأنّ الحبّ قهارٌ كمثّل الشعر
يرفرف في فضاء الكون... لا تغنوا له جبهته
وتغنوا جبهة الإنسان

أحدثكم - بدايةً ما أحدثكم - عن الحب
حديث الحب يوجعني ويطرِبني ويُسجِنني
ولما كان خفق الحب في قلبي هو النجوى بلا صاحب
حملت الحب في قلبي ، فأوجعني ، فأوجعني

ولما كان خفقُ الحبِّ في قلبي هو الشكوى إلى الصاحب
شكوتُ الحبِّ للأصحابِ والدنيا ، فأوجعني
ولما صارَ خفقُ الحبِّ في قلبي هو السَلَوَى
لأيامٍ بلا طعمٍ ، وأشباحٍ بلا صورة
وأمنيةٍ مجنحةٍ يحوفُ النفسِ مكسورة
حملتُ الحبَّ للمحبوبِ ، ثم دنوتُ من قلبه
وقلتُ له : أتيتك ... لا كبيرَ النفسِ ، لا تيتاهُ
ولا في السَّمِ جوهرةٌ ، ولا في الصدرِ وشجنتُ
ولكنني إنسانٌ فقير الجيبِ والفظنة
ومثل الناسِ أبحثُ عن طعامي في فجاجِ الأرض
وعن كوخٍ وإنسانٍ ليستُرَّ ما تعريئتُ
وحين أدارَ لي وجهاً شريفَ اللحمِ والصورة
تغنيتُ ... تغنيتُ :

أغنيةً لقدَّ محبوبي
أغنيةً لوجهه الجميل
أغنيةً لشعره الذهبي

أغنيةً لخدمه الأسيل
لكنني لستُ بموهوبٍ
أنا فتى لا يعرف القليلُ
أنا فتى لا يملك القليلُ
وقالتُ لي : لوجهيَ والهوى يا شاعري غنيتُ
فغنّ الآن أغنيةً لقلبكَ أنتُ
أسندتُ عودي إلى الضلوعِ
ورحتُ استقطرُ النغمُ
فأنتُ عودي على الضلوعِ
وغمغم الصوتُ ، وانبتهم
لحنيي ، فلتسعفُ الدموعُ

وضعتُ العود ، ثم صنعتُ بالكلمات ألحانا
بريئاتٍ كما في القلبِ ...
وقلتُ لها بأن الحب ما يصنعُ بالإنسان إنسانا
وأن الحبُ

عندما يصبح إنسان حقيقة

عندما يبحث في ظل العيون السود عن عين صديقه

ويراها ...

عندما يحلم بالبيت ، وبالدفء على مخدع نظره

ويواري خوفه في متكأها

عندما يحلم بالأطفال والنزهة في إصباح جمعه

عندما تمزج في عينيه أشواق ودَمَعه

عندما يُشرع إنسان لإنسان جناحه

ويناغيه دلالاً وسماحه

عندما يصبح ما مرّ من الأيام محو

لم يكن حيناً حياة القلب

عندما يصبح كل اللفظ لغوا

غير لفظ الحب

وغمغم الصوت وانهم

لحنيّ ، فلتسعف الدموع

وأغضتْ ،

ثم قالتْ لي ،

لقد طابتْ بك الأيامُ ، مرحى بكْ

عرفتْ الآنَ أنكَ لي ،

وأنتي لكْ

٣ - الهريفة والمرت

روّوا يا صحبتي الأحرارَ فيما حدثوا من قالُ
بأنّ الطفلَ يولدَ مثلَ نسَمِ الرّيحِ
وحينَ يدبُ فوقَ الأرضِ 'تثَقِلُ' ساقَه الأغلالُ
يقيدهُ إلى الدّنيا ترابٌ شَمّه الاجداد
وغطّوا أنفُسَهُمْ فيه ...
ويملك من فضاء الأرض ما تَمَدّدَ ساقاهُ
وما تَمسكُ يَمناهُ
ويجهدُ ، ثم لا يَسْتَطِيعُ أن يجتارَ ماضيه
ولكني أقول لكم بأن القيدَ حريه

وَأَن الدَّسَمُ مَأْسُورٌ - وَلَا يَدْرِي - بِإِطْلَاقِهِ
وَأَن الْحَرَّ مِنْ يَمْشِي ثَغِيلًا فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ
وَيَحْفَرُ بَطْنَ سَاقِيهِ عَلَى وَجْهِهِ الثَّرَى الْجَدْبِ
وَيَنْهَضُ رَغْمَ مَا يَنْدَاحُ فِي الْأَعْرَاقِ وَالْقَلْبِ
مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْأَشْوَاقِ وَالْآمَالِ وَالْحُبِّ
وَقِيلَ لَكُمْ :

بأن حياتكم جسرٌ ، وأن بقاءكم مسطورٌ
خطى تخطى بميقاتٍ إلى دارٍ ببابينِ
نطوف بها كومضٍ شعاعةٍ العينِ
وأن العاقل المبرورَ من يحيا بلا زادٍ
ليجمع زاد رحلتهِ

لأن وراءَ هذي الدارِ فيما قد رواه الناسُ
شطوطاً طامياتٍ مَوجُهاً ديجورُ
ولولا سيفُ نورٍ شقَّ ظلمها
وملاحٌ على مركبٍ
يقول لمن أحتَّ الخَطُّوْ في دهليزها ...

اركب !

ولولا ومضُ مصباحٍ يلوح لمقلة الملاح
لضلَّ الراكبُ في التيهِ سنينِ مئينِ

أقول لكم بأن الزيفَ قد يفتاتُ بالفِطنه
وسقطُ القولِ قد يعلو بأجنحةٍ من الترديدِ
أقول لكم بأن الكونَ ما كانا
وما ندري بأنْ سيَكونُ
وأن الليلَ والصبحَ قصارا
ورحلةُ شطِّ دنيا
وأجزؤُ كي أحدثكم
عن الموتى ... بقايا
● قضي ! قضي !

وعن ديارنا مضي
لو عاشَ كانَ سيّدا
يحمي الحمى المسودا

لكنه انتفضا

ذات مساءٍ مُظلمٍ ، وصعدا

أنفاسَهُ وقضّةً قضا

وانشَرَخَتْ قارورةٌ طَلَّسْنِمُها ما رُصِدا

وعن سرير أمه وأختيه صعدا

إلى السما رَكُضا

وأنتِ يا أمُ قنوحينَ سدى ...

● قُضتْ ! قُضتْ !

وعن ديارنا مضت

من بعد ما تكوّرَ النهْدُ

وبرِعتْ عليه وردةٌ ، وسالَ شَهِدُ

وازدحم الوفدُ من الخطابِ والأجبابِ في رحابِ ...

دارها ، وحين طارَ نَعْيُها استدارُ

خطابُها وأهلها إلى الجدارِ

لينجروا من الصَّخُورِ مَرَّ كبا

يَمْخُزُ بالشَّهْدِ وبالوردِ وبالصِّبا

من بعدِ أنْ صارتْ ... هَبَا
مربعاتِ مستطيلاتٍ من الصبا ...

● قُضِيَ ! قُضِيَ !

وعن ديارنا مضى
من بعد ما اقتنى وشيّدَا
وخالَ أن يخلّدَا
لم تبقَ منه غيرُ صورةٍ على الجدار
وغصن صبتارٍ على الحجارِ
وقالَ قائلٌ فصيحٌ فوقَ قبرِهِ ...
ودمعهُ مدّارُ
كان هلالاً ومضاً
ثم قَمَيْراً صَعَدَا
وصارَ بدراً في السما تَوَسَّطَا
ثم هوى في أخرياتِ العمرِ ، في الأسحارِ
إلى عروقِ السماءِ رَكَضَا
وأنتمُ يا صبيةَ الراحلِ تبكونَ سدى

وقفتُ أمامكم بالسوقِ كي أحيأ ، وأحييكمُ
لا أبكي ، وأبكيكمُ
وما غنيتُ بالموتى لأصنعَ من جماجمهم
عمامةً وعُظُ

فلو عاشَ الذي ماتا
فأين يعيشُ من وُلدا ؟
أقول لكم بأن الموتَ مقدورٌ ، وذلك حقٌ
ولكن ليسَ هذا الموتَ حتفَ الأنفِ
تعالوا خيِّروا الأجيالَ أن تختارَ ما تصنعُ
لكي توسعُ
لمن يتبعُ

فلن تختارَ غيرَ الموتِ
وهل من ماتَ لم يتركْ له رسماً على الجدرانِ
وخطاً فوق ديباجه
وذكرى في حنايا قلبِ
وحفنة طينةٍ خصبه

على وجه الفضاءِ الجذبُ
وما الانسانُ - إن عاشَ ...
وإن ماتَ -
... وما الانسانُ ؟

٤ - « الكلمات »

وقفت أمامكم بالسوق ، لا ثوبي من الديباج
ولم أتقَلدُ الشاراتِ ، أو ألتَفَّ بالأدراج
ولم تَعْتَمَ مثلَ البرجِ فوقَ التلِّ جُمُجمتي
ولم أَمسِكْ بكفي صولجانَ الحكمِ والمِقوَدِ
ومما السوقُ بيتُ أبي ولا المَعْبَدُ
حديثي محضُ ألفاظٍ ، ولا أملكُ إلّاها
أرقرقها لكم نَفْماً ، أجَمَلُها أفانينا
أرقّشها تلاوينا

وللألفاظِ سلطانٌ على الإنسانِ
ألم يرووا لكم في السِفْرِ أن البدءَ يوماً كان ...

— جلّ جلالها — الكلمة

ألم يرووا لكم في السِّفْرِ أَنْ الْحَقَّ قَوْلُ
وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ بِأَنَّ الْحَقَّ فَعَالُ
أَقُولُ لَكُمْ :

بأنّ الفِعلَ والقَوْلَ جناحانِ عَلِيَّانِ

وأنّ القلبَ إِنْ غَمَغَمَ

وأنّ الخلقَ إِنْ هَمَّ هَمَّ

وأنّ الرِّيحَ إِنْ نَقَلَتْ

فقد فَعَلَتْ ، فقد فَعَلَتْ !!

كتائبُ فوق طوقِ الحضرِ مسرّجةٌ على الأفراس طوافه

وطوقُ نِجامها الكلماتُ

هـ — « القديس »

إليّ ، إليّ ، يا غرباءُ ، يا فقراءُ ، يا مرضى
كسيري القلبِ والأعضاءِ ، قد أنزلتُ مائدتي
إليّ ، إليّ ،
لنطعمهمَ كسرةً من حكمةِ الأجيالِ مغموسةً
بطيشِ زمانينا الممراحِ
نكسّرُ ، ثم نكسّرُ قلوبنا الهادي
ليرسينا على شطّ اليقينِ ، فقد أضلّ العقلُ مسرانا
إليّ ، إليّ
أنا ، طوّفتُ في الأوراقِ سواحاً ، شَبَا قلبي
حصاني ، بعد أن حملتُ بي الأوهامُ والغفلةُ

سنينَ طَوَالَ ، في بطنِ اللجَاجِ ، وظلمةِ المنطِقِ
وكنْتُ إذا أجنَّ الليلُ ، واستخفى الشَّجِيئُونَ
وحَنَّ الصَّدْرُ المِرفَقُ
وداعَبَتِ الخِيَالَاتُ الخَلِيمِنَا
ألوذُ بِرُكنِي العاري ، يجنبُ فتيلَ المُرْهَقِ
وأبعثُ من قبورِهِمُ عِظَامًا نَخْرَةً ورؤوسُ
لتجلسَ قُربَ مائدتي ، تَبُثُّ حديثها الصِّيَاحَ والمهموسُ
وإنْ مَلَّتْ ، وطالَ الصمتُ ، لا تسعَى بها أقدامُ
وإنْ نُثِرَتْ سِهَامُ الفَجْرِ ، تستخفي كما الأوهامُ
وقالتُ لي :

بأنَّ النُّهْرَ ليسَ النُّهْرَ ، والإنسانَ لا الإنسانُ
وأن حفيف هذا النجم موسيقى
وأن حقيقة الدنيا ثَوَتْ في كهف
وأن حقيقة الدنيا هي الفَلَسْمان فوق الكف
وأن الله قد خَلَقَ الأنَامَ ، ونَامَ
وأن الله في مِفْتَاحِ بابِ البيتِ

ولا تسأل غريقاً كُـبَّ في بحرٍ على وجهه
لينفخ بطنه 'عشبا وأصدافاً وأموها
كذلك كنت
وذاة صباح
رأيت حقيقة الدنيا
سمعت النجم والأمواء والأزهار موسيقى
رأيت الله في قلبي

لأني حينما استيقظت ذات صباح
رميت الكتب للنيران ، ثم فتحت 'شباكي
وفي نفس الضحى الفواح
خرجت لأنظر الماشين في الطرقات ، والساعين للأرزاق
وفي ظل الحداثيق أنصرت عيناى أسراباً من العشاق
وفي لحظة
شمرت بحسمى المحموم ينبض مثل قلب الشمس
شمرت بأنني امتلأت شعاب القلب بالحكمة

شعرتُ بأنني أصبحتُ قديساً
وأن رسالتي ...
هيَ أن أقدّسكمُ

٦ - السوق والسوقه ،

هنا في السوق ، يا أصحاب ،
يحيا الحب والتذكار

وتولد في ظلام عظامنا ...
النزعات والأفكار

وتمتد الرقاب ... ترى ...
وتومض في الزحام عيون
وتعتنق الجفون جفون

ونحن، وإن غشين السوق وامتزجت روائحنا بريح الأرض

فَمَا التَفَّتْ عَلَيْهِ ثِيَابُنَا طَهْرٌ وَأَقْدَاسُ
وَأَعْرَفُ بَعْضَهُمْ يُضْنِيهِ أَنْ يَغْشَى زِحَامَ السُّوقِ
وَلَكِنْ هُمْ ... مِنَ السُّوقَةِ

٧ — « مَوْتِ الْإِنْسَانِ »

أَلَا مَا أَشْرَفَ الْإِنْسَانَ حِينَ يُحْسِنُ ثِقْلَ التَّاجِ فِي رَأْسِهِ
وَحِينَ يُحْسِنُ أَنْ الشَّمْسُ فِي قَوْدِيهِ لَوْلُؤَانِ
وَحَفْنَةُ النُّجُومِ نُثِرَتْ عَلَى تَرْسِهِ
وَأَنْ عَلَيْهِ ثَوْبَ الْمَلِكِ سِرْبَالًا
وَأَنْ لَهُ أَوْزَنَهُ بِسَاطِ الْأَرْضِ
يَشْمُ شَذَى خَفِيفِ النَّسَمِ أُمْنِيَالًا وَأُمْنِيَالًا
وَيَعْتَنِقُ الْوُجُودَ بِحُبِّ مَلَأَكٍ لَمَّا مَلَكَا

أَلَا مَا أَشْرَفَ الْإِنْسَانَ حِينَ يَشْمُ فِي الْإِنْسَانِ
رِيحَ الْوَدِّ وَالْإِلَهِ

ألا ما أشرف الانسان حين يرى بعيني إلفه الانسان
ما يخفي من اللهفه
إلى إنسان

ألا ما أتعس الانسان حين يموت في أعماقه الانسان
ألا ما أجمل الانسان حين يحوس في أرضه
يقَلِّبُ جَدَّهَا فِي الْحِصْبِ جَذْلَانَا
وَحِينَ يَشْتَقُّ بِالْمَحْرَاثِ مَمْلَكَتَهُ
أَخَادِيداً وَوَدْيَانَا

٨ - « اجأفكم لأعرفكم »

أنا شاعر

ولكن لي بظَهْرِ السوقِ أصحابٌ أخِلَاءُ
وأسمرُ بينهم بالليلِ أسْقِيهم ويسقوني
تطولُ بنا أحاديثُ الندامى حين يَلْقَوْنِي
على أني سأرجعُ في ظلامِ الليلِ حين يُفَضُّ سامرُكم
وحين يَغورُ نَجمُ الشرقِ في بَيْتِ السما الأزرقِ
إلى بيتي
لأرقدَ في سماواتي
وحيداً ... في سماواتي
وأحلمُ بالرجوعِ اليكم طلقاً وممتلئاً

بأنفامي ... وأبنياتي

أجافِيكمْ ... لأعرفكم

أحلام الفارس القديم

أحلام الفارس القديم

معذرةٌ يا صحتي ، لم تثمر الأشجارُ هذا العامُ
فجئْتُكم بأردإِ الطعامِ
ولست باخلا ، وإنما فقيرةٌ خزائني
مقفرةٌ حقولُ حنطتي ...

* * *

معذرةٌ يا صحتي ، فالضوءُ خافتٌ شحيح
والشمعةُ الوحيدةُ التي وجدتها يجيبُ معطفي
أشعلْتُها لكم ...
لكنها قديمةٌ معروفةٌ لهيئُها دموعُ

معذرةً يا صحتي ، قلبي حزين
من أين آتي بالكلام الفرح

الكراسة الأولى

من أناشيد القزار

الى ن. ي.

اغنية للشقاء

ينبئني شتاءُ هذا العامِ أنني أموتُ وحدي
ذاتَ شتاءٍ مثلهُ ، ذاتَ شتاءٍ
ينبئني هذا المساءُ أنني أموتُ وحدي
ذاتَ مساءٍ مثلهُ ، ذاتَ مساءٍ
وأن أعوامي التي مضت كانت هباءً
وأنني أقيمُ في العرَّاءِ
ينبئني شتاءُ هذا العامِ أن داخلي ...
مرتجفٌ برداً
وأن قلبي ميتٌ منذ الخريف ...
قد ذوى حين ذوتُ

أول أوراق الشجر

ثم هوى حين هوت

أول قطرة من المطر

وأن كل ليلة باردة تزيدهُ بعدا

في باطن الحجر

وأن دفء الصيف إن أتى ليوقطه

فلن يمدُّ من خلال الثلج أذرعهُ

حاملةً وردا

ينبثني شتاءُ هذا العام أن هيكلي مريض

وأن أنفاسي شوكٌ

وأن كل خطوة في وسطها مغامرة

وقد أموتُ قبل أن تلحقَ رجلٌ رجلا

في زحمة المدينة المنهمرة

أموتُ لا يعرفُني أحدٌ

أموتُ ... لا يبكي أحدٌ

وقد يُقالُ ، بينَ صحبي ، في مجامعِ المسامرهِ

مَجْلِسُهُ كَانَ هُنَا ، وَقَدْ عَبَّرَ

فَيَمَنْ عَبَّرَ ...

يَرْحَمُهُ اللَّهُ ...

يَنْبُئُنِي شِتَاءُ هَذَا الْعَامِ أَنْ مَا ظَنَنْتُهُ ...

شَفَايَ كَانَ سُمِّيَ

وَأَنْ هَذَا الشِّعْرَ حِينَ هَزَّيْتُ أَسْقَطَنِي

وَلَسْتُ أَدْرِي مِنْذُ كَمْ مِنَ السَّنِينَ قَدْ جُرِّحْتُ

لَكِنِّي مِنْ يَوْمِهَا يَنْزِفُ رَأْسِي

الشَّعْرُ زَلَّتِي الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا هَدَمْتُ مَا بَدَيْتُ

مِنْ أَجْلِهَا خَرَجْتُ

مِنْ أَجْلِهَا صُلِبْتُ

وَحِينَا عُلِّقْتُ كَانَ الْبَرْدُ وَالظُّلْمَةُ وَالرَّعْدُ

تَرْجُئُنِي خَوْفًا

وَحِينَا نَادَيْتُهُ ، لَمْ يَسْتَجِبْ

عَرَفْتُ أَنَّنِي ضِيعْتُ مَا أَضَعْتُ

يَنْبُئُنِي شِتَاءُ هَذَا الْعَامِ أَنَّنَا لِكِي نَعِيشَ فِي الشِّتَاءِ

لا بدّ أن نخزّن من حرارة الصيف وذكرياته ..
دفئاً

لكنني بعثتُ كالسفيه في مطالع الخريف
كل غلالي ، كل حنطتي وحبّي
كان جزائي أن يقول لي الشتاء أنني :
ذاتَ شتاءٍ مثله ...
أموتُ وحدي
ذاتَ شتاءٍ مثله ، أموتُ وحدي

أغنية للقاهرة

« بعد شهر من التجوال »

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي حَجَّتِي وَمَبْكَايَا
لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي أَسَايَا
وَحِينَ رَأَيْتُ مِنْ خِلَالِ ظِلْمَةِ الْمَطَارِ
نُورَكَ يَا مَدِينَتِي عَرَفْتُ أَنَّنِي غُلِلْتُ
إِلَى الشَّوَارِعِ الْمُسْفَلَتَةِ
إِلَى الْمِيَادِينِ الَّتِي تَمُوتُ فِي وَقْدَتِهَا
'خَضْرَاءُ' أَيَّامِي ..
وَأَنْ مَا 'قَدَّرَ' لِي يَا جَرَحِي النَّامِي

لِقَاكِ كَلِمَا اغْتَرَبْتُ عَنْكَ

بِرُوحِي الظَّامِي

وَأَنْ يَكُونَ مَا وَهَبْتَ أَوْ قَدَّرْتَ لِلْفُؤَادِ مِنْ عَذَابٍ

يُذْبِوعَ إِلْهَامِي

وَأَنْ أَذُوبَ آخِرَ الزَّمَانِ فِيكَ

وَأَنْ يَضُمَّ النِّيلُ وَالْجَزَائِرُ الَّتِي تَشُقُّهُ

وَالزَّيْتُ وَالْأَوْشَابُ وَالْحَجَرُ

عِظَامِي الْمَفْتَتَةِ

عَلَى الشَّوَارِعِ الْمُسْفَلَتَةِ

عَلَى ذُرَى الْأَحْيَاءِ وَالسِّكِّكِ

حِينَ يَلِمُ شَمْلُهَا تَابُوتِي الْمَنْحُوتُ مِنْ جَمِيزِ مِصْرٍ

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي يَخْلَعُ قَلْبِي ضَاغِطًا ثَقِيلًا

كَأَنَّهُ الشَّهْوَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالْجُوعُ

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي يَنْفُضُنِي

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي دُمُوعُ

أَهْوَاكِ يَا مَدِينَتِي الْهَوَى الَّذِي يَشْرِقُ بِالْبَكَاءِ

إذا ارتوت برؤية المحبوب عيناهُ
أهواك يا مدينتي الهوى الذي يسامحُ
لأن صوته الحبيسَ لا يقولُ غير كلمتين ...
إن أراد أن يُصارحُ
أهواك يا مدينتي
أهواك رغم انني أنكرتُ في رحابك
وأن طيري الأليفَ طارَ عني
وأني أعودُ ، لا مأوى ، ولا ملجأ
أعود كي أشردَ في أبوابك
أعود كي أشربَ من عذابك ...

اغنية لليل

الليل 'سكّرنا وكأسنا
ألفاظنا التي تُدارُ فيه نُقلُّنا وبَقَلُّنا
الله لا يحرمني الليلَ ولا مرارته
وإن أتاني الموتُ ، فلأمتُ محدثاً أو سامعاً
أو فلأمتُ ، أصابعي في شعرها الجعدِ الثقيلِ الرائحةُ
في ركني اللَّيليِّ ، في المقهى الذي تضيئهُ مصابحُ حزينه
حزينةٌ كحزن عينيها اللتين تحشيانِ النورَ في النهار
عينانِ سوداوانِ .
نضاحتانِ بالجلالِ المرَّ والأحزانِ
مرَّت عليهما تصاريِفُ الزمانِ

فشالتا من كل يومٍ أسودٍ ظلاً ...

عينانٍ سرّ دابانٍ

عميقتانٍ موثا

غريقتان صمتا

فإن تكلمتا

تندّتا تعاسةً ولوعةً ومقّتا

ينكشف السردابُ حينما تدُقُّ الساعةُ البطيئةُ الخطى

معلنةً أن المساقداً انكشف

تقولُ لي العينانُ :

« يا عاهري المتوجّ الفودّين بالحديد والحصى »

« يا ملكي الغريب الاسم المزيف السمات »

« أحببتُ فيك رؤيةً رأيتها منذُ الصغر »

« وكان يُشبهك »

« وليسَ أنتَ ... ليسَ أنتَ ! »

« كان فتيٌ حُلَميٌ جميلًا ، لا مُزوّقا ،
« مُثَقِّفًا ، لا ذَرِبَ اللسانُ ،
« محتشماً ، نبالةً في الطبعِ ، لا خَوْفا ،
« وعاطفًا ، لا عاطفيًا ،
« يا عاهري ،

يا خُدْعتي ،
يا قَدْرِي ، !
« في الساعةِ الليليةِ الأخيرةِ ،
« خذني إلى البيتِ ، فإنني أخاف أن يَبْلُغني الندى ،
« تذوبُ أصباغي
ويبدو قبحُ وجهي ،
وتصمتُ العَيْنانِ ، ترجعانِ
عميقتانِ صمتًا
غريقتانِ مَوْتًا
الليلِ ثوبُنَا ، خِباؤُنَا
رُتبتُنَا ، شارَتُنَا ، التي بها يعرفُنَا أصحابُنَا

« لا يعرفُ الليلُ سوى منَ فقدَ النهارُ »

هذا شعارُنا

لا تبكنا ، يا أيها المستمعُ السعيدُ

فنحنُ مَزْهُوونَ بانْهزامِنا

أغنية الى الله

- ١ -

لينتثرُ فتاتُ لحننا على جناحِ عيشنا الغريبُ
ولنتغربُ في قفارِ العمرِ والسُّوب
ولنكسرُ في كل يومٍ مرتينُ
فمرةً حينَ 'نقابلُ الضياءُ'
ومرةً حينَ تذوبُ الشمسُ في الغروبُ
فقد أرَدْنَا أن نرى أوسعَ من أحداقِنَا
وأن نطولَ باليدِ القصيرةِ المجدوذةِ الأصابعِ
سماً أمنيّاتِنَا
اللهِ يا وُحدتي المغلقةَ الأبوابُ

الله لو منحتني الصفاء
الله لو جلستُ في ظلالكِ الوارفةِ اللّقاءِ
أجدلُ حبلَ الخوفِ والسّأمِ
طولَ نهاري
أشئقُ فيه العالمَ الذي تركتهُ ورا جداري
ثم أنامُ غارقاً ، فلا يغوصُ لي ...
'حلمُ'

- ٢ -

حين تصيرُ الرغباتُ أمنياتُ
لأنها بعيدةُ المطالِ في السّما
ثم تصيرُ الأمنياتُ وهماً
لأنها تقنّعتْ بالغيمِ والضبابِ
وهاجرتْ مع السحابِ
واستوطنتْ أعاليَ الهضابِ
ثم يصيرُ الوهمُ أحلاماً

لأنه مات ، فلا يطرقُ سورَ النفسِ إلا حين يُظلمُ المساءُ
كانه أشباحُ ميتين من أحببنا
ثم يصيرُ الحلمُ يأساً قائماً وعارضاً ثقيلاً
أهدأبنا ...

أثقلُ من أنْ ترى ...
وإن رأيت فما يرى العَمِيَّانُ ؟
أقدامنا ...

أثقلُ من أن تنقلَ الخطى ...
وإن خطتْ تشابكتْ ، ثم سقطنا هزأةً كبهلوانٍ
نصرخُ ، يا ربَّنَا العظيمَ ، يا إلهنا
أليسَ يكفي أننا موتى بلا أكفانٍ
حقُّ تذلٍّ زَهُونَا وكِبْرِيَاءَنَا ؟

— ٣ —

حزني ثَقِيلٌ فادحٌ هذا المساءُ
كانه عذابُ مُصَنَّفَيْنِ في السعيرِ

حزني غريبُ الأَبوينِ
 لأنه تَكُونُ ابنَ لحظةٍ مفاجئهِ
 ما مَخَضَّتْهُ بَطْنُ
 أراهُ فجأةً إذا يمتدَّ وَسْطَ ضَحْكِ
 مُكْتَمَلِ الخِلْقَةِ ، موفورَ البدَنِ
 كأنه استيقظَ من تحتِ الركامِ
 بعدَ سباتٍ في الدُّهورِ

— ٤ —

لقد بلوتُ الحزنَ حينَ يزحمُ الهواءَ كالدُّخانِ
 فيوقظُ الحنينَ ، هل نرى صحابنا المسافرينِ
 أحبابنا المهاجرينِ
 وهل يعودُ يومنا الذي مضى من رحلةِ الزمانِ ؟
 ثم بلوتُ الحزنَ حينَ يلتوي كأفعوانِ
 فيعصرُ الفؤادَ ثم يخنقهُ
 وبعدَ لحظةٍ من الإسارِ يُعتيقهُ

ثم بلوتُ الحزنَ حينما يفيضُ جدولاً من اللهبِ
 نملأُ منه كأسَنَا ، ونحنُ نمضي في حدائقِ التذكّراتِ
 ثم يمرُّ ليلُنَا الكئيبُ
 ويشرقُ النهارُ باعثاً من المماتِ
 جذورَ فَرْحِنَا الجديبِ
 لكنّ هذا الحزنَ مِسْنَخُ غامضٍ ، مستوحشٍ ، غريبٍ
 فقلْ له يا ربُّ ، أنْ يفارقَ الديارَ
 لأنني أريدُ أنْ أعيشَ في النهارِ

- ٥ -

يا ربَّنَا العظيمَ ، يا معذَّبِي
 يا ناسجَ الأحلامِ في العُيونِ
 يا زارعَ اليقينِ والظنونِ
 يا مرسلَ الآلامِ والأفراحِ والشجُونِ
 اخترتَ لي ،
 لَشَدَّةَ ما أوجَعْتَنِي

ألم أخلص بعد ،
أم تُرى نسيّتي ؟
الويل لي ، نسيّتي
نسيّتي
نسيّتي ...

الكراسة الثانية

أغنيات تائمه

اغنية من فيينا

كانت تنامُ في سريري ، والصبحُ
منسكبٌ كأنه وشاحُ
من رأسها لردفها
وقطرةٌ من مَطرِ الخريفِ
ترقدُ في ظلالِ جفنيها
والنفسُ المستعجلُ الحفيفُ
يشهقُ في حلمتها
وقفتُ قربها ، أحسّها ، أرقبُها ، أشمّها
النَّبَضُ نَبْضُ وَثْنِي
والروحُ روحُ صوفي ، سليب البدنِ

أقول ، يا نفسي ، رآكَ اللهُ عطشى حين بلّ غربتك
جائعةً فقوّتكَ

ناهةً فدفّ خنيطَ نجمةٍ يضيءُ لك

يا جسمها الأبيض قل : أنت صوت ؟

فقد تحاورنا كثيراً في المساء

يا جسمها الأبيض قل : أنت خضرةٌ منورة ؟

يا كم تجولتُ سعيداً في حدائقك

يا جسمها الأبيض قل : أنت خمره ؟

فقد نهلتُ من حوافٍ مرمرٍ

سقايتي من المدامِ والحبابِ والزبدِ

يا جسمها الأبيض مثلَ خاطِرِ الملائكةِ

تبارك اللهُ الذي قد أبدعَكَ

وأحمدُ اللهُ الذي ذاتَ مساءً

على جفوني وضعَكَ

لما رأينا الشمسَ في مفارقِ الطرقِ

مدّت ذراعَيها الجميلتين

مدت ذراعَيْهَا الخِيفَتَيْنِ
 وَنَقَرَتْ أَصَابِعَ الْمَدِينَةِ الْمَدْبُوبَةِ
 عَلَى زَجَاجِ عَشْتِنَا ، كَأَنهَا تَدْفَعُنَا
 نَذْهَبُ ، أَيْنَ ؟
 تَشَابَكَتْ أَكْفَتُنَا ، وَاعْتَنَقَتْ
 أَصَابِعَ الْيَدَيْنِ
 تَعَانَقَتْ شَفَاهُنَا ، وَافْتَرَقَتْ
 فِي قَبْلَةٍ بَلِيلَةٍ مِنْهُومَةٍ
 تَفَرَّقَتْ خَطَوَاتُنَا ، وَانْكَفَأَتْ
 عَلَى السَّلَالِمِ الْقَدِيمَةِ
 ثُمَّ نَزَلْنَا لِلطَّرِيقِ وَاجْمَيْنِ
 لَمَّا دَخَلْنَا فِي مَوَاكِبِ الْبَشَرِ
 الْمُسْرَعِينَ الْخَطُوءَ نَحْوَ الْحَبْرِ وَالْمُثُونَةِ
 الْمُسْرَعِينَ الْخَطُوءَ نَحْوَ الْمَوْتِ
 فِي جِبْهَةِ الطَّرِيقِ ، انْفَلَتَتْ ذِرَاعُهَا
 فِي نِصْفِهِ ، تَبَاعَدَتْ ، فَرَّقْنَا مُسْتَعِجِلٌ يَشْدُ طِيفْلَتَهُ

في آخر الطريق 'تقت' - ما استطعت' - لو رأيت'
ما لون' عينيها

وحينَ شارَفنا ذرى الميدان ، غمغمتْ بدونِ صوت'
كأنها تسألني .. من أنت' ؟

الصمت والجناح

الصمتُ راكدٌ ركود ريحٍ ميتهُ
حق جنادبُ الحقولِ ساكتهُ
وقبةُ السماءِ باهتهُ
والأفقُ أسودٌ وضيقٌ بلا أبوابِ
منكفيءٌ من حيثُها التفتُ كالسردابِ
ونحن ممدودانِ في ظلالِ حائطٍ قديمِ
مفرشانِ ظلّنا
ملتحفانِ بالعذابِ

وفجأةً أورقَ في حقلِ السّما نجمٌ وحيدٌ

ورفّ في الصّمتِ البليدِ ريشُ طائرٍ فريدٍ
كَمَسْتُ ، يا صديقتي ، توجّهي لِربّنا
وناشديه ، أن يَبْثُثَ في ظلالنا
رَفْرَفَةَ الحَيَاةِ من جديدٍ ..

الهرب في هذا الزمان

تسألني رفيقتي : ما آخرُ الطريقُ
وهل عرفتُ أولَهْ
نحنُ دميَّ شاخصةٌ
فوقَ ستارٍ مُسدَّلهِ
خطيَّ تشابكتُ بلا ..
قصدي ، على دربٍ قصيرٍ ضيقِ
اللهُ وحدهُ الذي يعلمُ ما غايةُ هذا الولهِ المؤرَّقِ
يعلمُ هل تُدركُنَا السعادةُ
أم الشقاءُ والندَمُ ؟
وكيف توضعُ النهايةُ المعادةُ

الموتُ ... أو نوازِعُ السَّامِ ؟
يعلمُ ، حين نلتقي بعد سنين أو شهورُ
هل سيكونُ في العيونِ وَجْدُها
هل سيكونُ في العيونِ حَقْدُها
أم نلتقي كالأصدقاءِ القدماءِ
يسبِّحونَ في فتورٍ ...
يودِّعونَ في فتورٍ ...

الحبُّ يا رفيقتي ، قد كانُ
في أوَّلِ الزمانِ
يخضعُ للترتيبِ والحُسابِ
« نظرةٌ » ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ
فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاءٌ ،
اليومَ .. يا عَجائبَ الزمانِ !
قد يَلتقي في الحبِّ عاشقانُ
من قبل أن يبتسما

ذكرت أننا كعاشقين عَصْرَيْن ، يا رفيقي
 ذقنا الذي ذقناه
 من قبل أن نشتيه
 ورغم علمنا
 بأن ما ننسجه 'ملاءة' لفرشنا
 تنقضه 'أنا ميل' الصباح
 وأن ما نهيمسه ، 'ننمش' أعصابنا
 يقتله 'البُواح'
 فقد 'نسجنّاه'
 وقد همسناه

الحب في هذا الزمان يا رفيقي
 كالخزن ، لا يعيش إلا لحظة البكاء
 أو لحظة الشبق
 الحب بالفطانة اختنق
 إذا افترقنا ، يا رفيقي ، فلنلق كل اللوم

على زَمانِنا
ولننفض الأيدي في التَذْكارِ والنَدَمُ
ولنَمْسَحِ الظلالَ عنْ عِيونِنا
ولنبتسمْ في ثَقَةٍ ، بأنَّ ما حَدَثُ
كان إرادةَ القَدَرِ
وأنَّ آمراً أمراً
وأنا قد استجبنا للذي 'نَحْسُهُ'
حينَ قَتَلْنَا حَسَنًا
وأنَّ ما مَضَى
أهونُ من أنْ نَحْمِلَهُ كَأَمْسِنَا
من أنْ يَمِدَّ ظِلُّهُ البَغِيضُ
على شَبَابِنَا
ولننطلقْ مَغَامِرِينَ ضَائِعِينَ في البَحَارِ العَكِيرَةِ
نَدَّ جَسَعُنَا الجَدِيبَ ، والضُلُوعِ المَقْفَرَةِ
في الغُرفِ الجَدِيدَةِ المؤجَّرَةِ
بينَ صُدُورِ أَخَرٍ 'مُعْتَصِرَةِ'

رسالة الى سيده طيبة

في يومٍ كانتْ وَرْدَه
تغفو في 'كم' الليل
الشمسُ رَعَتْهَا
حتى دَبَّتْ فيها الروح
والشمسُ ،
الشمسُ أَمَاتَتْهَا
وقدأ وتباريح
في يوم حَلَّقَ طائر
ألقاهُ الحظُّ العاثرُ
في حبِّ الآفاقِ الممتدةِ

فمضى يَصَاعِدُ منطلقاً
 هبّت ريحُ ألقتهُ للسفحِ
 وهوى في جوفِ الآفاقِ الممتدةِ
 ورعاهُ السفحُ ، فلمْ عِظَامَةٌ
 حق دبت فيه الروحُ
 لكنْ ، هلْ يَأْمَنُ حِضْنُ الرِّيحِ
 طيرٌ مقصوصُ الريشِ جريحُ
 حق .. والريحُ رَخيّةُ
 في ليلةِ صيفِ
 وقعَ أحدُ الشعراءِ البُسْطَاءِ
 أنغاماً ساذجةً خضراءِ
 ليناجي قلبَ الإلفِ
 لكن كفاً مَعْشوقَتِهِ قد مزقتا أوتارهُ
 صارتْ أنغامُ الشاعرِ خرّسَاءِ
 فإذا نَطَقَتْ كانت سوداوية

يا سيدتي ، 'عذرا
فأنا أتكلمُ بالأمثالِ لأن الألفاظَ العُربِيَّةَ
هي أقسى من أن تُلَقِّيها شفتانُ
لكنَّ الأمثالَ الملتفَّةَ في الأسماِلُ
كشفتُ جسدَ الواقعِ
وبَدَتْ كالصِدْقِ العُربِيَّانِ

أشقى ما مرَّ بقلبي أن الأيامَ الجَهَنَمَةَ
جعلتهُ يا سيدتي قلباً جَهِماً
سلبتهُ موهبةَ الحُبِ
وأنا لا أعرفُ كيفَ أحبكُ
وبأضلاعي ، هذا القلبُ ...

حكاية قديمة

كان له أصحاب
وعاهدوه في مساء 'حزنيه' ...
ألا يسلموه للجنود
أو ينكروه عندما
يطلبه السلطان
فواحد أسلمه لقاء حفنة من النقود
ثم انتحر
وأخر أنكره ثلاثة قبل انبلاج الفجر
وبعد أن مات اطمأنت شفتاه
ثم مشى مكرراً مفاخيراً بأنه رآه

وباسمه صاد مبارک کا مُعَمِّدَا

والآنَ يا أصحابُ

أَسْأَلُكُمْ سَؤَالَ حَائِرٍ

أَيُّهُمَا أَحَبُّهُ ؟ ...

من خَسِرَ الرُّوحَ فَأَرْخَصَ الحَيَاةَ

أَمْ مِنْ بَنَى لَهُ مَعَابِدًا ،

وَشَادَ بِاسْمِهِ مَنَائِرَ

قَامَتْ عَلَى حَيَاةٍ

نَجَتْ لِأَنَّهَا تَنَكَّرَتْ

والآنَ يا أصحابُ

أَيُّهُمَا أَحَبُّهُ ؟

أَيُّهُمَا أَحَبَّ نَفْسَهُ ؟

أَيُّهُمَا أَحَبَّنَا ؟

لوركا

لوركا ...

نافورة 'ميدان'

ظلٌ ومقيلٌ للأطفالِ الفقراء

لوركا اغنياتٌ 'عجريه'

لوركا شمس ذهبية'

لوركا ليل صيفيٌ 'منعيم'

لوركا أنثى 'متشتم'

لوركا سوسنةٌ 'بيضاء'

مَسَحَتْ خَدَّيْهَا فِي الْمَاءِ

لوركا أجراسٌ 'قباب'

سَكَنْتَ فِي جَوْفِ ضَبَابٍ
قَرَبَ النِّجْمِ الْمُفْرَدِ
أَنَا تَشْدُو ، أَنَا تَتْنَهْدُ
لوركا سَعَفُ الْعَيْدِ الْأَخْضَرِ
لوركا حُلَى 'سَكَّر'
لوركا قَلْبٌ مَمْلُوءٌ بِالنُّورِ الرَّائِقِ
وَضُلُوعٌ شَفَّافٌ
لوركا صَدْرٌ عَرِيانٌ مِنْ زَبَدٍ وَدُخَانِ
عَلِمَ 'لِلشَّجَعَانِ
لوركا 'حُلَى' كَجَنَى النُّحْلِ الشَّبَعَانِ
مَرُّ كَمِيَاهِ الْبَحْرِ الْحُلُوهِ
وَكَمَوُجَتِهَا هَيَّانٌ ...
فِي لَيْلَةٍ صَيْفٍ رَاكِدَةٍ الرِّيحِ
صَارَ الشَّاعِرُ أُسْطُورَةً
قَتَلَتْهُ 'الْحَفَرَاءُ' الْحَقَرَاءُ

قتلته الخفراءُ الخفراءُ
 وتكوّمُ جرحاً فوقَ التلِّ
 شرّقتْ جمجمةٌ منخورةٌ
 بدما قلبٍ مُعتلٍ
 والجسمُ الحشيّ ،
 والقبعةُ المظمورةُ
 صدّتا في الطلِّ
 أما الكلماتُ الحلوةُ والممزورةُ
 فقد انسابتْ جدّولٌ
 يمضي حيثُ سقطتْ ، وعضّ الترابَ فمكٌ
 حقٌ يُغفي في حُضْنِ الله الغاضِبِ
 يَرْجوهُ أن يَغفوه عن خفراءٍ بِلَداءِ
 قتلوا آخرَ أبناءِ الرّبِّ

بعد دليل

أَنْتَ لَمَّا عَشَقْتَ الرِّحْلَ
لَمْ تَجِدْ مَوْطِنًا
يَا حَبِيبَ الْفُضَاءِ الَّذِي لَمْ تَجْسُنْهُ قَدَمٌ
يَا عَشِيقَ الْبَحَارِ ، وَخِذْنِ الْقِمَمَ
يَا أَسِيرَ الْفُؤَادِ الْمَمْلُوكِ
وَعَرِيبِ الْمَنَى
يَا صَدِيقِي أَنَا

Hypocrite lecteur
Mon semblable, mon frère

شاعِرُ أَنْتَ وَالْكَوْنُ نَثْرُ

والنفاقُ ارتدى أجنحةُ
وتزيّبا بزي ملاكٍ جميل
والطريقُ طویلُ
والتّغني اجترأُ على كشفِ سرِّ

في عيونِ النساءِ
طفّت ، لما تجدُ
في السماءِ التي أطرقتُ مُعجَبَةً
فوقَ بحرٍ سجا كالزجاجِ الرهيفِ
لم تجدُ .. لم تجدُ
في الدخانِ الذي ينعقدُ
ثم يهوي أمامَ العيونِ كثوبٍ شفيفِ
لم تجدُ .. لم تجدُ
فعمشتَ الرحيلُ
في بحارِ المُنَى
يا فؤاداً ملولُ
يا صديقي أنا

من أغاني الخرفج

الى م. س. غ.

« بيننا يا جارتى بحر عميق »

الخروج

أخرج من مدينتي ، من موطني القديم
مطرًا أثقالَ عيشي الأليم
فيها ، وتحت الثوبِ قد حملتُ سرّي
دفتتهُ ببابها ، ثم اشتملتُ بالسما والنجوم
أنسلُ تحتَ بابها بليل
لا آمنُ الدليلَ ، حق لو تشابهتُ عليّ طلعةُ الصحراء
وظهرُها الكتومُ
أخرجُ كاليتيم
لم أختيرَ واحدًا من الصحابِ
لكي يُفدّيني بنفسِهِ ، فكل ما أريدُ قتلَ نفسيَ الثقيله

ولم أَغَادِرْ فِي الْفِرَاشِ صَاحِبِي يُضِلُّ الْطَّلَابُ
 فَلَيْسَ مَنْ يَطْلُبُنِي سِوَى « أَنَا » الْقَدِيمُ
 حِجَارَةً أَكُونُ لَوْ نَظَرْتُ لِلْوَرَاءِ
 حِجَارَةً أَصْبَحُ أَوْ رُجُومُ
 سُوخِي إِذْنٌ فِي الرَّمْلِ ، سِيقَانِ النَّدَمِ
 لَا تَتَّبِعْنِي نَحْوَ مَهْجَرِي ، نَشْدُتُكَ الْجَحِيمُ
 وَانْطَفِئِي مَصَابِحَ السَّمَاءِ
 كَيْ لَا تَرَى سَوَانِحَ الْأَلَمِ
 ثِيَابِي السُّودَاءُ
 تَحْجَرِي كَقَلْبِكَ الْخَبِيءِ يَا صَحْرَاءُ
 وَلْتُنْسِنِي آلَامُ رِحْلَتِكَ
 تَذْكَارَ مَا اطَّرَحْتُ مِنْ آلَامِ
 حَقٌّ يَشِفُّ جِسْمِي السَّقِيمُ
 إِنْ عَذَابَ رِحْلَتِي طَهَّرَتْنِي
 وَالْمَوْتَ فِي الصَّحْرَاءِ بَعْثِي الْمَقِيمُ

لو متُ عِشْتُ ما أشاءُ في المدينة المنيرة
مدينة الصّحور الذي يزخر بالأضواء
والشمس لا تفارق الظهيرة
أواه ، يا مدينتي المنيرة
مدينة الرؤى التي تشرب ضوءا
مدينة الرؤى التي تمجّ ضوءا
هل أنتِ وهمٌ وإِهم تقطعت به السبل
أم أنتِ حق ؟
أم أنتِ حق ؟

اغلى من العيون

- ١ -

عيناكِ 'عشّي' الاخير
أرقدُ فيها ، ولا أطيّر
هدّئهما وثير
خيرهما وفير
وعندما حطّ جناحُ قلبي النزق
بينهما ، عرفتُ أنني أدركت
نهايةَ المسير
كفّاك 'نعمى' ، نعمَ ما أعطيتِ للمسافرِ الفقير
ابن سبيلِ الحبِّ والسرورِ

كَانَ بِلَا زَادٍ يَسِيرُ
 فِي الْمَهْمَةِ الْمَهْجُورِ
 وَفَجْأَةً ، لَاحَتْ لَهُ بُشَارَةٌ بِبَيْضَاءُ
 رَايَةً مِنْ نُورِ
 رَاحَةٍ مِنْ نُورِ
 وَمِلَتْ نُحُوزَ ظِلِّكَ النَّدَى ، يَا حَبِيبِي
 أَنْشَقُ رِيحَ الزَّهْرِ فِي حَدَائِقِكَ
 أَبُلُّ قَلْبِي بِالنَّدَى ، أَنْعِشُهُ بِالظِّلِّ وَالنَّسَائِمِ
 يَغْسِلُنِي حَنَانُكَ الرَّقِيقُ مِثْلَمَا ،
 تَغْتَسِلُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ
 وَمِثْلَمَا تَهْتَزُّ لِلرَّبِيعِ شَجَرَةٌ
 يَسْقُطُ عَنِّي وَرَقِي الْقَدِيمُ
 يَمُوتُ حَزْنِي الْعَقِيمُ ، حَزْنِي الْمَقِيمُ
 بِصَافِحِ الْحَيَاةِ وَجْهِي الَّذِي نَضَرْتَهُ بِبَسْمَتِكَ
 أَمْدٌ نُحُوزَ الشَّمْسِ كَفْتَا
 وَأَرْفَعُ الْعَيْنَيْنِ لِلنُّجُومِ

من أيّ نبتع رائق يفيضُ حُبُّنا
يغمُرُنا سعادةً كأننا طفلانُ
لم نعرفِ التجوالَ في الزمانِ
أيّ نسيمٍ ناعمٍ هذا الحنانُ
وأيّ كأسٍ حلوةٍ تلكَ التي نذوقُها
حينَ تُطلُّ من عيوننا قلوبُنا المُنحَّه
تبحثُ في الأحداقِ عن طعامِها ومائِها
ثم تنامُ في أمانِ
وأيّ كونٍ طيبٍ يحيطُنا
حين نكونُ وحدنا معا
أي كمالٍ لم يُشاهدْ مثلهُ أيّ جمالِ
اللهُ عادلٌ بنا ، والكونُ خيرٌ ما يزالُ
والناسُ شفتافون كالخيالِ
وأنتِ يا لؤلؤتي المنوّرةُ
أنقى من الظلالِ

يطيبُ لي في آخِرِ المساءِ أن أقولَ كَلِمَتَيْنِ
 شفاعَةً أرفعُها اليك يا سيدة النساءِ
 الحبُّ يا حبيبتي أغلى من العيونِ
 صونيه في عَمِيذِكَ واحفظيه
 الحبُّ يا حبيبتي مَلِيكَ كُنُونا الحنونِ
 كوني له مطيعةً سَمِيعَةً
 الحبُّ يا حبيبتي هديةُ الحياة لي ، وَلَكَ
 لمتعبينِ حائرينِ في السنينِ
 الحبُّ يا حبيبتي فِرْدَوْسُنَا الأَمِينِ
 حينَ تَوَدُّ ظَهْرَنَا الأيامُ
 وتفتحي رَحْلَتَنَا لشاطيءِ المنونِ
 نذوبُ في هوائه مهللينَ باسمينِ
 كأَنَّا لِحُونِ

احلام الفارس القديم

لو أننا كنا كفصني شجرة
الشمس أرضعت عروقنا معا
والفجر روتنا ندى معا
ثم اصطبغنا خضرة مزدهرة
حين استطلنا فاعتنقنا أذرعا
وفي الربيع نكتسي ثيابنا الملونة
وفي الخريف ، نخلع الثياب ، نعرى بدنا
ونستحم في الشتاء ، يدفئنا حنونا

لو أننا كنا بشط البحر موجتين

صَفَيْتَا مِنَ الرَّمَالِ وَالْمَحَارِ
تَوَجَّتا سَبِيكَةً مِنَ النَّهَارِ وَالزَّيْبَدِ
أَسْلَمْتَا الْعَنَانَ لِلتِّيَّارِ
يَدْفَعُنَا مِنْ مَهْدِنَا لِلْحَدِنَا مَعَا
فِي مَشْيَةٍ رَاقِصَةٍ مُدْنَدِنَةٍ
تَشْرِبُنَا سَحَابَةٌ رَقِيقَةً
تَذُوبُ تَحْتَ ثَغْرِ شَمْسٍ حُلُوةٍ رَفِيقَةٍ
ثُمَّ نَعُودُ مُوجَتَيْنِ تَوَآمِيْنِ
أَسْلَمْتَا الْعَنَانَ لِلتِّيَّارِ
فِي دَوْرَةٍ إِلَى الْأَبَدِ
مِنَ الْبَحَارِ لِلسَّمَاءِ
مِنَ السَّمَاءِ لِلْبَحَارِ

لَوْ أَنَّنَا كُنَّا بِخِيَمَتَيْنِ جَارَتَيْنِ
مِنْ شَرْفَةٍ وَاحِدَةٍ مَطْلَعُنَا
فِي غَيْمَةٍ وَاحِدَةٍ مَضْجَعُنَا

نضىءُ للعشّاقِ وخدمهم وللمسافرين
 نحو ديارِ العِشقِ والمحبةِ
 وللحزاني الساهرين الحافظين مَوْثِقَ الأحبةِ
 وحين يَأْفُلُ الزمانُ يا حبيبي
 يُدْرِكُنَا الأَفولُ
 وينطفئ غرامُنَا الطويلُ بانطفائنا
 يبعثُنَا الإلهُ في مسارِبِ الجنانِ دُرّتينِ
 بين حصى كثيرٍ
 وقد يرانا مَلَكٌ إِذْ يَعْبُرُ السَّبيلُ
 فينحني ، حين نشدّ عينه ، إلى صفائنا
 يلقطنا ، يمسحنا في ريشه ، يُعجبهُ بريقنا
 يرشّقنا في المفرقِ الطهورِ

لو أننا كنّا جناحي نورسٍ رقيقٍ
 وناعمٍ ، لا يَبْرَحُ المضيقُ
 محلّقٍ على ذوّاباتِ السفنِ

يبشّر الملاحَ بالوصولُ
ويوقظُ الحنينَ للأحبابِ والوطنُ
منقارُهُ يقناتُ بالنَّسيمِ
ويرتوي من عرقِ الغيومِ
وحينما يُجنّ ليلُ البحرِ يطوينا معاً ... معاً
ثم ينامُ فوقَ قلْعِ مركبٍ قديمِ
يؤانسُ البحارةَ الذين أُرْهقوا بغربةِ الديارِ
ويؤنسونَ خوفَهُ وحَيْرَتَهُ
بالشدوِ والأشعارِ
والنفخِ في المزمارِ

لو أننا

لو أننا

لو أننا ، وآه من قسوة « لو »

يافتنني ، إذا افتتحنا بالمني كلامنا

لكننا ...

وآه من قسوتها « لكننا »
 لأنها تقولُ في حروفها الملفوفةِ المشتبكةُ
 بأننا نُنكرُ ما خَلَفَتِ الأيامُ في نفوسنا
 نودُّ لو نخلعهُ
 نودُّ لو ننساهُ
 نودُّ لو نعيدهُ لِرحمِ الحياهُ
 لكنني يا فتني مجرَّبٌ قعيدُ
 على رصيفِ عالمِ يَوجُ بالتخليطِ والقيامةُ
 كونِ خلا من الوسامةُ
 أكسبني التعتيمَ والجهامةُ
 حين سقطتُ فوقهُ في مطلعِ الصبا

قد كنتُ فيما فاتَ من أيامُ
 يا فتني محارباً صليباً ، وفارساً هِمَامُ
 من قبلِ أن تدوسَ في فؤادي الأقدامُ
 من قبلِ أن تجلِدَني الشמושُ والصقيعُ

لكي تذلل كبريائي الرفيع
كنتُ أعيشُ في ربيعِ خالدٍ ، أيّ ربيعٍ
و كنتُ إن بكيتُ هزّني البكاءُ
و كنتُ عندما أحسّ بالرثاءُ
للبنّاءِ الضعفاءُ

أودّ لو أطعمتُهم من قلبي الوجيع
و كنتُ عندما أري المحيرين الضائعين
التائهين في الظلام
أودّ لو 'يحرّقني ضياعُهم ، أودّ لو أضيءُ
و كنتُ إن ضحكتُ صافياً ، كأنني غديرٌ
يفترّ عن ظلّ النجومِ وجههُ الوّضيءُ
ماذا جرى للفارسِ الهُمّامُ ؟
انخلع القلبُ ، وولى هارباً بلا زمامٍ
وانكسرتُ قوادِمُ الأحلامِ
يا مَنْ يدلُّ 'خطوتي على طريقِ الدمعةِ البريئةِ
يا مَنْ يدلُّ خطوتي على طريقِ الضحكةِ البريئةِ

لك السلام

لك السلام

أعطيك ما أعطني الدنيا من التجريب والمهارة

لقاء يوم واحد من البكارة

لا ، ليس غير « أنت » من يعيدني للفارس القديم

دون ثمن

دون حساب الربح والخسارة

صافية أراك يا حبيبي كأنما كبرت خارج الزمن

وحينما التقينا يا حبيبي أيقنت أننا

مفترقان

وأني سوف أظل واقفاً بلا مكان

لو لم يعدني حبك الرقيق للطهارة

فنعرف الحب كغصني شجرة

كنجمتين جارتين

كموجتين توأمين

مثل جناحی نورسِ رقیق
عندئذِ لا نفترق
یضمنا معاً طریق
یضمنا معاً طریق

الكراسة الرابعة

صحائف من مذكرات مهمة

مذكرات الملك عجيب بن الخصيب

- ١ -

لم آخذِ الملكَ بحدِ السيفِ ، بل ورثته
عن جدِّي السابع والعشرين ، (إن كان الزنا
لم يتخلل في جذورنا
لكنتي أشبهه في صورةٍ أبدعها رسامه
رسامه ... كان عشيقَ الملكه)

- ٢ -

قصر أبي في غابة التينين
يضح بالمنافقين والمحاربين والمؤدبين

من بينهم مؤدّي الأمين « جورجياس »
وكان لوطيا مسيحيا

- ٣ -

« هل ماءُ النهرِ هو النهرُ ؟ »
« سقراطُ... محقُّ حين تجرّعُ كأسَ الموتِ وما فرُّ ؟ »
الميتُ ، يحسُ دعاءَ الأهلِ إذا ما أودِعَ في القبرِ ؟
« المرأةُ فحٌّ منصوبٌ ، واحفظْ وعظي
إن جئتَ لديها ،
لا تأمنَها ، حتى لو جعلتَ فرشَ منامك
نهدِها أو فخذِها »

- ٤ -

ورغم تعاليمه ، قد عرّفتْ النساءُ
إماء أبي كنّ حين 'يحنّ' المساءُ
يحنّ إليّ ، يضاجعني ويلاعِبُنِي

وَيَفْضَحْنَ لِي مَا يُسِرُّ أَبِي
 اليهن ، حين تثورَ الدماءُ ، وتهمدُ ظمأى
 فيسحبُ ثوبَه
 وحين يُطبَّ له كاهِنوه ، فقتبتلُ رغبته بالرضا
 ويحمدُ رَبَّه
 ولم ينفع الطبُّ ذات مساء ، على حذق كهانه المعجِبِ
 ومات أبي ، والدموعُ تسيلُ تسيلُ على وجنتيه
 وفي كفِّه مِرْقَةٌ من رداءِ حريرٍ

- ٥ -

« مات الملك الفازي » ...
 « مات الملك الصالح » ...
 صاحتُ أبواقُ مدينتنا صَيْحاً مله وفا
 وقفَ الشعراءُ أمامَ البابِ صفوفا
 وتدحرجتِ الأبياتُ ألوفاً
 تبكي الملكَ الطاهرَ حتى في الموتِ

وتمجد أسماءَ خليفته الملكِ العادل
وتراوحُ في نبراتِ الصّوتِ

« صوت حيرانُ »

هناهُ محاذُ ذاكَ العزاءِ المقدّما

« صوت فرحانُ »

فما عَبَسَ المحزونُ حتى تَبَسَّما

« صوت ريانُ »

فأنتَ هلالُ أزهرِ اللونِ مُشرقُ

« صوت أسيانُ »

وكان أبوكَ البدرُ يلمَعُ في السما

« صوت غضبانُ »

وأنتَ كليثُ الغابِ همُّك همُّه

« صوت بالدمعة نديانُ »

وكان المليكُ الراحلُ اليومَ قشعما

« صوت بالبهجة دالانُ »

وأنتَ الغمامُ الماطرُ الخيرَ دائما

« صوت فياض بالأحزان »

وكان أبوكَ البدرُ قد فاضَ أنعمها
صوت مبدسوط حق قرب القافية الميمية
فحييتَ من سَبْطِ سليلِ أشاوسِ
كرامِ سجايامِ ...

وبوركَ مَنْ نما ... الخ

(ما أضجرَ هذي القافية الميمية)

(لنْ يسكت هذا الشاعر حق يفنى حرفُ الميم)

- ٦ -

لو قلتُ كل ما تُسرّه الظنونُ

لقلتمو مجنونُ

« الملكُ المجنونُ ! »

لكنني أبحثُ عن يقين

في مجلسِ الصبحِ أنا تاجٌ وصولجانُ

تقطيبُ عينينِ وبَسْمَتانِ

أو بسمه " تعقبها تقطيبتان
 وكل حال لها أوان
 لكنني في مخدعي إنسان
 وافزعي من المسا إذا أطل
 وافزعي من حيرة الأفكار في السُّبُل
 أبحث في كل الحنايا عنك ، يا حبيبتى المقنعة
 يا حَفنة من الصفاء ضائعة
 هل تحتفين في الجسد
 أعصره فينتفض
 وحين يروي ينزوي ولا يرد
 وبعد ساعة يعودهُ الظما ، كأن كل ما ارتوى
 كان سرايا أو زبد

هل تحتفين في غيابة الكؤوس والحشيش والأفيون
 كما يقول الشاعر المأفون
 « لولا الحشيش وسنة الألف »

(ويقصد الأفيون)

« لعدوتُ في بؤسٍ وفي قرَف »

لقد خلطتُ أكتُوساً بأكتوسٍ كِثَارُ

ثم مزجتُ أخضراً بأسودٍ بنارُ

شممتُ خلطةَ البَهارِ ، ثم غصنتُ في البحارُ

حين رأيتُ رأيَ العين طائراً برأسٍ قرْدُ

وحينما أرادَ أن يقولَ كلمةَ نهَقُ

كان له ذيلُ حمارُ

ضحكتُ حقَ قضةٍ ضلوعُ صدري

ثم غفوتُ

رأيتُ في المنامِ أني أقود عربَه

تجرّها ستٌ من المَهَارِ

تجوبُ بي الوديانَ والصَحَارِ

وفجأةً تحولتُ خيولُها قِطاطا

تشى إلى الوراءِ ، وجهُها ، عيونها تبصُ لي شرارُ

ثم غدَتُ عيونها نجوما

هذا النجم .. النجم القطبي
 الدب القطبي الأبيض
 صارت قطبي دببته
 يخطو نحوي الدب القطبي ليأكلني
 أو يأخذني ليعلقني في فكه
 أتخيل أني قد علقت بفك الدب الأبيض
 أني أقتل من أسنان الدب الأبيض
 يا خدام القصر .. ويا حراس .. ويا أجناد
 .. ويا ضباط ... ويا قادة
 'مدّوا حول الكرة الأرضية نسج الشبكة'
 كي يسقط فيها ملككم المتدلي

* * *

سقط الملك المتدلي جنب سريره

مذكرات الصوفي بشر الهافي

« أبو نصر ، بشر بن الحارث ، كان
قد طلب الحديث ، وسمع سماعاً كثيراً ، ثم
مال إلى التصوف ، ومشى يوماً في السوق ،
فأفرعه الناس ، فخلع نعليه ، ووضعها تحت
أبطيه ، وانطلق يجري في الرمضاء ، فلم
يدركه أحد ، وكان ذلك سنة سبع وعشرين
ومائتين »

- ١ -

حينَ فقدنا الرضا
بما يريدُ القضا
لمْ تنزل الأمطارُ
لمْ تُورق الأشجارُ
لمْ تلمع الأثمارُ
حينَ فقدنا الرضا
حينَ فقدنا الضحكا
تفجرت عيوننا ... 'بكا'
حينَ فقدنا هدأةَ الجنبِ

على فراش الرضا الرحب
نام على الوسائد
شيطانٌ بغضٍ فاسدٍ
معانقي ، شريكٌ مضجعي ، كأنما
قرونه على يدي
حين فقدنا جوهرَ اليقين
تشوّهت أجنةُ الجبالِ في البُطون
الشعرُ ينمو في مَغاوِرِ العُيون
والذقن معقودٌ على الجبين
جيلٌ من الشياطين
جيلٌ من الشياطين

- ٢ -

إحرصْ ألا تسْمَعَ
إحرصْ ألا تنظرْ

إحرص ألا تَلْمَسَ

إحرص ألا تتكلم

قف ! ...

وتعلّق في حبل الصمتِ المبرّم

ينبوعُ القولِ عميقُ

لكنّ الكفّ صغيرة

من بين الوسطى والسبابة والإبهام

يتسرّب في الرمل .. كلام

- ٣ -

ولأنك لا تدري معنى الألفاظِ ، فأنت تناجزني بالألفاظ

اللفظُ حَجَرٌ

اللفظُ مَنِيَّةٌ

فإذا ركبتَ كلاماً فوق كلام

من بينهما استولدتَ كلام

لرأيتَ الدنيا مولوداً بشعاً
وتمنيتَ الموتُ
أرجوكُ ...
الصمتَ ...
الصمتَ !

- ٤ -

تظلُ حقيقةٌ في القلبِ توجعهُ وتُضنيه
ولو جفتُ بحارُ القولِ لم يُبَحِرْ بها خاطِرُ
ولم ينشرِ شراعَ الظنِّ فوقَ مياها ملاحُ
وذلك أن ما نلقاهُ لا نبغيه
وما نبغيه لا نلقاهُ
وهل يُرضيكَ أن أدعوكَ يا ضيفي لمائدتي
فلا تلقى سوى جيفتهُ
تعالى الله ، أنتَ وهبتنا هذا العذابَ وهذه الآلامُ

لأنك حينما أبصرتنا لم نخلُ في عينيك
تعالى الله ، هذا الكونُ موبوءٌ ، ولا برءُ
ولو ينصفنا الرحمنُ عَجَلْ نَحُونَا بالموتِ
تعالى الله ، هذا الكونُ ، لا يصلحهُ شيءُ
فأين الموتُ ، أين الموتُ ، أين الموتُ

- ٥ -

شيخني « بسام الدين » يقول :
« يا بشرُ .. اصبرُ
دنيانا أجلُ مما تذكرُ
ها أنتَ ترى الدنيا من قَمَّةِ وجدِكَ
لا تبصرُ إلا الانقاضَ السوداء »

ونزلنا نحوَ السوقِ أنا والشيخُ
كان الإنسانُ الأفعى يجهَدُ أن يلتفَ على الإنسان
الكركي

فشى من بينها الإنسانُ الثعلبُ
عجباً ، ...

زورُ الإنسانِ الكركي في فك الإنسانِ الثعلبُ
نزَلَ السوقَ الإنسانُ الكلبُ
كي يفقأ عينَ الإنسانِ الثعلبُ
ويدوسُ دماغَ الإنسانِ الأفعى
واهتزَّ السوقُ بخطواتِ الإنسانِ الفهد
قد جاءَ ليبقرُ بطنَ الإنسانِ الكلبُ
ويمصّ نخاعَ الإنسانِ الثعلبُ
يا شيخى بسامَ الدين

قلْ لي .. « أينَ الإنسانُ .. الإنسانُ ؟ »
شيخى بسامَ الدين يقول :
« اصبرْ ... سيجي »

سيهْلٌ على الدنيا يوماً ركبُهُ ،

يا شيخى الطيب !

هل تدري في أيِّ الأيامِ نعيشُ ؟

هذا اليومُ الموبوءُ هو اليومُ الثامن
من أيامِ الأسبوعِ الخامسِ
في الشهرِ الثالثِ عشرِ
الانسانُ الانسانُ عَبر
من أعوام
ومضى لم يَعرفهُ بَشَر
حَفَرَ الحِصْبَاءَ ، ونام
وتغطى بالآلام

تأملات في زمن جريح

تأملات فی زمنِ جریج

حكاية المغني الهزين

ذلك المساء

حدثتموني عن سنابكِ بجنحه
تفتق الشرار في أهلة المآذن
عن عصبة من السيوف، لا تفل
قد أغمدت في الصخر، لا تُسَلْ
إلا إذا قرأتم دونها أسماءكم
يا عصبة الأماجد ، الأشاوس ، الأحامد ، الأحاسن

وقلتم :

« يا أيها المغني غننا
'مسمل' العيينين في حضرتنا

لحناً يثير زهونا
ويذكر انتصارنا
(إذا تحين ساعة موعودة ، تنعيم في أشراطها
لم تنخلع عن غيمها إلا لنا
الساعة التي تصير فيها خَوْذَةُ الشيطان
كأساً لخمير ميد الفرسان) «

استطرد أعتذر عنه

وصنعتي يا سادتي مغني
معانق قيثارتني ،
فؤادي المطعون بالسهام الخمسة
صندوق سري ،
خزنة المتاع ، روضتي وقبري
أزرع فيها جثثي ، خلعتها في زمني المفقود
أدفنها في صدرها المفقود
أزورها في خلوة الوجد ، إذا داهمني المساء
بدون أن أعّد له
زاداً من الحشيش والنساء

أكشف عنها الكفنا
أقيمها ، أنيمها ممدودةً ، أطردها عنها الوسنا
أنظر في عيونها الماسية البكاء
ثم أولّتي هارباً للكأس والبكاء



وهذه الجثث :
الجثة الأولى لطفل جائع فقير
دفنتها منذ زمان موغل في البعد والعتامة
بكيت حينما دفنتها
بكيت وانكسرت وانعصرت
بكيت وانتسخت
بكيت حتى كدت أن أنحلّ كالغبار ،
أو أذوب كالغمامه

عيني عليها ، سادتي الفرسان
(فجاءةً نمت على أكتافها رأسان)

فواحد ، ملتحم العينين ، للأمام ترنوان
وآخر تمتد عيناه بلا أجفان
ناثمة الحديقة في قفاه
كأنه ثعبان



معذرة ، مختصر الكلام
فالجثث الكثيرة التي دفنتها عاماً وراء عام
تريد أن تنام

« أسقيكم الخمرة والأفيون
فلا تضجوا أيها الطيبون
أسقيكم البكاء والأنين
ناموا على محاجري
يا أيها الموتى الأعزاء ،
ويا دراري العيون
ماذا تقولون وتشغبون ؟

ماذا تحدثون ؟
يا أيها الموتى المعذبون

أنتِ ، ألم أدفنك منذ عام
أيتها الجثة الغريبه ؟
نزلت للزمانِ خلقةً عجيبه
طويلة الساقين ، دون رُكْبِه
واسعة الشدقين
كأن ضحكاً فاتراً يلتف كالطحلب في الفكين
لكننا ، وا أسفا ، مطفأة العينين
يا جثة المهرج القديم
نامي ، أيا طفلي التي حييت في ثيابها
عاماً وراء عام
نامي على فراشك الغبار
ولتقضي رغيفك القفار

وأنت يا جامدة الأحداق كالنجوم
يسيل من أشداقك الكلام أبيضاً ومملحاً
كالزبد المسموم
أنت ألم أدفنك أمس
(كانت لكهل أشيب حكيم
ومات إذ ساموه أن يغترف الحكمة بالقلوب
إذ أنها تدحرجت من ساقه ، لبطنه ،
لرأسه ، كالخوف ، كالعطن)

نامي ، أيا صديقتي المعذبة
بدائك الأليم
واستفرغي حكمتهم في ثوبك القديم

استطراد آخر قصير قد يكون نافعا

« وموقفي يا سادتي في آخر المر
أربعة نحن من الصحاب
مهرج البلاط ، والمؤرخ الرسمي ، والعرف ، والمنفي
وكلنا بدون أسماء ولا سيوف
وكلنا مؤجر بالقطعه
ونستعير ثوبنا المذهب الأطراف
من خزنة السلطان
وبيننا صداقة عميقة ، كالفجوه

عورد الى ما جرم ذلك المساء

في ذلك المساء
يا سادتي الأماجد ، الأشاوس ،
الأحامد ، الأحاسن
يا زينة المدائن
يا أنجم الساري ،
مفرقين في البلاط تزدادون روعة وحسنا

فإن تجمعتن ،
فنور كل كوكب يخامر النور الذي يبشه رفيقه
ولا يذوب فيه

(أقولها صدقاً ، ولا أزيد فيه)

الله ما أعظمكم ، وما أرقمكم ، وما
أنبلكم ، وما أشجعكم ، وما
أخبركم بالخييل والطعان والضراب والكهائن
والفتح والتعمير والتدمير والتحبير والتسطير
والتفكير والتخريب والتجريب والتدريب والألحان
والأوزان والألوان والبناء والغناء والنساء
والشراء والكراء والعلوم والفنون واللغات
والسمات ...

وباختصار

أنتم هدية السماء للتراب الآدمي ،
نحن حفنة الأموات
وشارة على اقتدار الله أن يخلق أمثالاً من الفنانين
ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم في عشرين «

أقولها صدقاً ، ولا أزيد فيه
أقسم بالموتى الذين يخبشون تحت جلدي



في ذلك المساء
كنت حزينا مرهقا في ذلك المساء
لعلكم لا تعرفون الحزن يا سادتي الفرسان
(وإن عرفتموه ، فهو ليس حزني)
حزني لا تطفئه الخمر ولا المياه
حزني لا تطرده الصلاة
قافلة موسوقة بالموت في الغرار ،
والأشباح في الجرار ، والندم
عليّ وحدي أن أقودها إذا دعى النفير
نفير نصف الليل
أهوى بها ممزقا على أخلافِ نُوقِها
إلى مغاور النسيان والعدم

قافلة موسوقة بالموت والنشور
عليّ وحدي أن أجريها من كهفها المقبور
أقودها ثانية على حبال الشمس
حتى أوافي غدها المقدور



حزني لا يفنى ولا يستحدث



وقلتمُ : يا أيها المغني غننا
مسمل العينين في حضرتنا
لحنًا يثير زهونا
ويذكر انتصارنا
(إذا تحين ساعة موعودة ، تغيم في أشراطها
لم تتخلع عن غيمها إلا لنا
الساعة التي تصير فيها خوذة الشيطان
كأساً لخمير سيد الفرسان)

غنيت ، كان في قرار اللحن
ما لم أجد كتماناً من وحشة وحزن
وقام منكم سيد ، لعله ساقى الحرس
(لأنه بمشي وكفاه إلى الأمام)
وشدني من أذني بهمه المبحوح
أكتم عنك أم أبوح ؟
أكتم عنك أم أبوح ؟

وارتعدت موتاي في داخلي المكسور يا سادتي الأجماد
وانشك من ساقى إلى حنجرتي عظامي المدببه
وحلّق الخوف على فضاء ما ترى عيوني المنسكبه
وربما سألته لأنه اتسكا ومال فوق بعضه ، وزاد :

« وشت بك الأنغام ، أيها الغلام
(سني تقارب الخسین ، ربما يكون هذا اللفظ شارة الوداد)
في صوتك الخفي رنة منشرخه »

مشبوهة القصد ، غريبة المرام
كأن شكاً ساخراً كالجنة المنتفخه
يطفو ويهوي في مدى لهاتك المسلخه



بعد قليل من زمان
طردت من بلاط القصر يا سادتي الفرسان
صرت ابن سبيل ، جائعاً مهان



حق أتت خيول عصابة الشيطان
إذا بكم تمضون كالنعامة المجنحه
والأسفاً قلوبكم مسافحه

اعتراف تأخر عن أوانه

كنت أحس سادتي الفرسان
انكمو أكفان
وكان هذا سرّ حزني ..

كلمة قصيرة

أصبحنا مثل الطين بقاع البشر
لا يملك أن يتأمل صفحة وجهه

رسائل من الماضي

أرى عيني ما لم تبصراه
كلانا عالم بالزلمات

« أصدق بيت قالته العرب »

وأعجب مني كيف أخدع عامداً
على أنني من أعلم الناس بالناس

« أصدق نصف بيت قالته العرب »

مذكرات رجل مجهول

- ١ -

أصحو أحياناً لا أدري لي اسماً ،
أو وطناً ، أو أهلاً
أتمهل في باب الحجرة حتى يدركني وجداني
فيثيب إليّ بداهة عرفاني
متمهلة في رأسي ، تهوي في أطرافي ثقلاً
تلقني مرساهما في قلبي ...
هذا يوم مكرور من أيامي
يوم مكرور من أيام العالم

تلقيني فيه أبواب في أبواب
ويغللني عرقي ثوباً نسجته الشمس الملتهبه
ثوباً من إعياء وعذاب
وأعود إلى بيتي مقهوراً
لا أدري لي اسماً ،
أو وطناً ،
أو أهلاً

- ٢ -

هذا يوم تافه
مزقناه إرباً إرباً
ورميناه للساعات

هذا يوم كاذب
قابلنا فيه بضعة أخبارٍ أشتاتٍ لقطاعٍ
فاعتأها بالمأوى والأقوات

وولدنا فيه كذبا شخصيا ،
نَمَيَّنَاهُ حَقِّ أَضْحَى
أخباراً تعدو في الطرقات

هذا يوم خوَّان
سألونا قبل الصبح عن الحق الضائع
فنكرناهُ وجحدناهُ
وتمسينا في الحانات
ودفعنا أجرة رشوتنا ، ثمن فطانتنا الصفراء
بين ضجيج الكاسات

هذا يوم بعناه للموت اليومي
بِحَيَاة زائفة صلده
وفرخنا أنثا ساومناه
وخدعناه ، ومكسناه

ما أحسن أنا علقنا هذا اليوم الغارب ...
في منحدر الشمس

فهوت ببقاياها

- ٣ -

الأرض بغي طامث
دمها يحمّد في فخذها السوداءوين
لا يُطهرُها حَمَلٌ أو غُسلٌ
من ضاجعها ملعون

الأبنية المرصوفة في وجه المارين سجون
سجانوها الحيطان وقرب الإنسان من الإنسان
سجنًا أبدياً ... يا مسجون
والأيام الأشراك
من تحت 'ملاءتها أخفتها عنا مائدة الإفطار
في الشارع غطتها أوراق الأشجار

علب' التبغ الملقاة ، وأوراق الصحف الممزوقه
والبسمة' في عين الجار
فاسقط يا مطعمون

- ٤ -

الحمد لنعمته من أعطانا هذا الليل
صمت' الأشياء وسادتنا
والظلمة فوق مناكبنا
ستر وغطاء

الحمد لنعمته من أعطانا الوحدة
لنعود إليها حين يموت اليوم الغارب
ونلم الأشلاء

الحمد لنعمته من أعطانا ألا نختار
رسم الأقدار

فلو اخترنا لاخترنا أخطاء أكبر
وحياة أقسى وأمر
وقتلنا أنفسنا ندما
ثم الحرية ... ما دمنا أحرار

- ٥ -

يا هذا المفتون البسام الداعي للبسات
نبثني ، ماذا أفعل
فأنا أتوسل بك
هل أغمس عيني في قمر الليل
أم أقتات الأعشاب المرة والورقا
أم أفتح بابي للأشباح ،
وأدعوها ، وأطاعِمها
وأقدمها للألواح الممدودة حول خواني
وأقوم خطيباً فيهم ...
أحبائي ..! إخواني !

أم أبكي حين يحن الليل ،
وأغفو دمعي في فودي
أم أضحك في مرآتي وحدي
إن كنت حكيماً نبئني كيف أُجَنُّ
لأحسّ " بنبض الكون المجنون
لا أطلب عندئذ فيه العقل

- ٦ -

ها قد سلمت لكم ... قد سلمت
ضاعت بسماي
لم تنفعني فلسفتي ،
سلمت
كُسِرَت راياتي
عجزتُ عن عوني معرفتي
سلمت
وشجاعاً كنت لكي أنضو

عن نفسي ثوب الزهو المزعوم
وشجاعاً كنت لكي أتهاوى عريانا
أُثني ساقى ، أستصرخكم ...

هلا، تدعوني وحدي ؟

وكفاكم إني سلمت

أم تضعوني في لحدي ؟

... ..

كونكم مشنوم

كونكم مشنوم

انتظار الليل والنهار

وهكذا مات النهار
ومال جنب الشمس ، واستدار
ثم تساقط المساء فوقنا ،
مثل جدار خرب ، وانهار
واعتنقت صحيفة السماء والغبراء ،
لطختا الجبين بالغبار
وانطفأت نوافذ المرضى ، وأنوار الجسور
أعين الحراس والمآذن
تكوّمت حوائط الظلمة في مداخل البيوت والخازن
فانكفات كثيفة مرصوفة ، كأنها مدافن

منهارة على بقايا جبل منهار



في آخر المساء شعشت سحابة بنور
سحابة "ناحلة رقيقة"

وأومضت حمراء حمرة الزهور
سوية ، وانطفأت في عتمة الأفق
واندفع النهار

(يا حمرة الغسق

يا لون عمري الذي ودعته حقيقة ...
وعشته قد كارت

أضاعك الليل كما أضاعك النهار)



وهكذا مات المساء

حين تقلبت على ضلوعها الشمس ،

وهبت تغطي السماء

تنفست شوارع المدينة الرعناء
أصوات ضجّةٍ بلا إيقاع
وانسكبت مجامر الشعاع
تمور في العيون ، تكشف الظلال ،
تثقب الحجر

أواه يا نور الضحى ،
ملأت قلبي فزَعاً وترحاً
لأنني رأيت فوق ما أردت أن أرى
بوركتِ وقنّدة الظهيرة
النورُ يجلدُ العيونَ ، تَعشى ، لا ترى
من البيوت والبشر
سوى مُكعّباتِ لونٍ وحجر



في آخر اليوم تدب في عروق الشمس فترة الملal
ويولد اللون الرمادي الرقيق
حق ضجيج الطرقات

ينحلُّ إيقاعاً رمادياً رقيقاً
(كلون أيامي التي ما استطعت أن أعيشها حياة ...
فعمشتها تأملاً)



سويعة ، ويهبط السوادُ حين ينقضي الأصيل
فالشمس ألقت نظرة الوداع
واتكأت مرهقةً على التلال



وهكذا تمضي الحياة بي ،
أعيش في انتظار

هل ...
لحظةٌ مشرقةٌ في ظلمات الليلُ
أو ... لحظةٌ هادئةٌ في غمرة النهار

مرئیتان

١ — مـوئـيـة رـجـل تـافـه

مضت حياته .. كما مضت
ذليلةً موطأه
كأنها تراب مقبره
وكان موته الغريب باهتاً مباغتاً
منتظراً ، مفاجأه
(الميـتة المـكـرره)

كان بلا أهل ، بلا صحاب
فلم يشارك صاحباً حين الصبا لهو الصبا
ليحفظ الوداد في الشباب

كان وحيداً نازفاً كعابر السحاب
وشائعاً كما الذباب

و كنت أعرفه
أراه كلما رسا بي الصباح في بحيرة العذاب
أجمع في الجراب
بضع لقيات تناثرت على شطوطها التراب
ألقي بها الصبيان للدجاج والكلاب
و كنت أن تركت لقمة أنفت' أن ألمها
يلقطها ، يمسحها في كمه ،
يبوسها ، يأكلها
« في عالم كالعالم الذي نعيش فيه
تعشى عيون التافهين عن وسخة الطعام والشراب »

وتسألوني : أكان صاحبي ؟
وكيف صحبة تقوم بين راحلين
إذن لماذا حينما نعا الناعي إليّ نعيه

بكِتْه

وزارني حزني الغريب ليلتين

ثم رثيتْه

٢ — مراثية رجل عظيم

كان يريد أن يرى النظام في الفوضى ،
وأن يرى الجمال في النظام

وكان نادر الكلام
كأنه يبصر بين كل لفظتين
اكذوبةً ممتة يخاف أن يبعثها كلامه
ناشرة الفودين ، مرخاة الزمام

وكان في المساطيل صحبة النجوم
ليبصر الخيط الذي يلمها
مختبئاً خلف الغيوم

ثم ينادي الله قبل أن ينام :
الله ، هب لي المقلة التي ترى
خلف تشتت الشكول والصور
تغيير الألوان والظلال
خلف اشتباه الوهم والمجاز والخيال
وخلف ما تسدله الشمس على الدنيا ...
وما ينسجه القمر
حقائق الأشياء والأحوال

وتسألونني : أكان صاحبي
هل صحبة تقوم بين سيد عظيم
وخادم محتمل ؟

زيارة الموتى

زرنا موتانا في يوم العيد
وقرأنا فاتحة القرآن ، وللمنا أهداب الذكرى
وبسطناها في حضن المقبرة الريفية
وجلسنا ، كثرنا خبزاً وشجونا
وتساقينا دمعاً وأنينا
وتصافحنا ،
وتواعدنا ، وذوي قربانا
أن نلقى موتانا
في يوم العيد القادم

يا موتانا

كانت أطيا فكم تأتينا عبر حقول القمح الممتده
ما بين تلال القرية حيث ينام الموتى
والبيت الواطىء في سفح الأجران
كانت نسمات الليل تعيركم ريشا سحرى
موعدكم كنا نترقبه في شوق هدهده الاطمئنان
حين الأصوات تموت ،

ويحمد ظل المصباح الزيتي على الجدران
سنشم طراوة أنفاسكم حول الموقد
وسنسمع طقطقة الاصوات كمشي ملاك و سنان
هل جئتم تأتنسون بنا . ؟

هل نعطيكم طرفاً من مرقدنا ؟
هل ندفئكم فينا من برد الليل ؟
تدفئاً فيكم من خوف الوحده

حتى يدنو ضوء الفجر ، ويعلو الديكُ سقوف البلده
فنقول لكم في صوتٍ مختلج بالعرفان

عودوا يا موتانا
سندبر في منحنيات الساعات هنيهات
نلقاكم فيها ، قد لا تُشبعُ جوعاً ، أو تروي ظمأً
لكن لُقَمٌ من تذكاري ،
حي نلقاكم في ليل آت



مرت أيام يا موتانا ، مرت أعوام
يا شمسِ الحاضرة الجرداء الصلده
يا قاسية القلب الناري
لم أنضجتْ الأيامُ ذوائبَنَا بلهيبك
حق صرنا أحطاب محترقات
حق جفّ الدمع النديانُ على خدّ الورقِ العطشان
حق جفّ الدمع المستخفي في أغوار الأجفان



عفواً يا موتانا
أصبحنا لا نلقاكم إلا يوم العيد

لما أدركتم أننا صرنا أخطاباً في صخر الشارع ملقاة
أصبحتم لا تأتون إلينا رغم الحب الظمان
قد نذكركم مرات عبر العام ...
كما نذكركم حلاً لم يتمهل في العين
لكن ضجيج الحاضرة الصخريه
لا يسمعنا حتى أن نقرأ فاتحة القرآن
أو نطبع أوجهكم في أنفسنا ، ونلمّ ملائكم
ونخبئها طي الجفن



يا موتانا
ذكراكم قوت القلب
في أيام عزت فيها الأقوات
لا تنسونا .. حتى نلقاكم
لا تنسونا .. حتى نلقاكم

حديث في مقهم

أتحول عن ركني في باب المقهى حين تدامني الشمس
أتحول عن شبابي حين يدامني برد الليل
أتبسم أحياناً من أسناني
أتشهد أحياناً من شفقي
أحلم في نومي حلماً يتكرر كل مساء
أتدلى فيه معقوداً من وسطي في جبل
مدوداً في وجه ركام الأبنية السوداء
أسمع طلقاً نارياً ، يتماوج حولي مثل ذبابه
يهوي جسمي المجروح
ويرفرف حيناً ،

ثم يفوص بطيئاً في جوف الكون المفتوح
أخشى عندئذ أن أؤخذ عنوَه
حين أمس تراب الأرض الرخوه
لأفرغَ من أمعائي ، وأعلق في متحف
فأظل أرفرف ...

تعصر قلبي الوحدة في ساعات العصر المبطنة الخطوات
تبدو الدنيا من شباكي
ميتةٌ مُسجاة
باهتة اللون مكتئمة الأصوات
أمضي عندئذ ، أتسكع في الطرقات
أتتبع أجساد النسوة
أتخيل هذا الردف يفارق موضعه ويسير على شقيه
حتى يتعلق في هذا الظهر
أو هذا النهديطير ليعلو هذا الخصر
(وأعيد بناء الكون)
لا يمضي زمن حتى تتمدد أجنحة الظلمه

تتكوم عندئذ في عيني المرثيات
تتقارب فيها الأجسام وتتلاصق
تتواجه تتعانق
تندمج وتهوي في الأفق المغلق
تبدؤ كتلٌ أخرى من أركان نائية جهمه
تتكورُ أجساماً
تتكسرُ جسماً جسماً ، تتشكلُ هاماتٍ ،
قاماتٍ ، أذرعةٌ ، أقداما
تتقدم نحوي حتى أخشى أن تصدمني
أتوقف لا أدري ماذا أفعل
فأعود إلى شباكي



أتردد أحياناً قرب الفجر على إحدى الحانات المشبوهة
أشرب كأسين
ألقي بالثالث والرابع خلفي خلفي
لا تلمحني عين

وأقدم نفسي للساقي المصبوغ الفودين

اسمي : احيا باسمين

اسم يعرفه أهلي

واسم لا يعرفه إلا أتباعي وعشيقاتي

تغمز لي عينا الساقي ، ويشير بأصبعه المبهمة

لامرأة صامئةٍ ملقاةٍ في قاع الحانه

فتهبُ لأتبعها مرتعدَ الساقين

لكننا نتفرقُ خلفَ البابِ المغلقِ



— هل فاجأتك بحديثي ؟

—

— إنصاتك كان كريماً منك ؟

—

— لكنني لست غريباً عنك

لست غريباً عنك

حبيبي أطفأ المصباح ،
وانطفأت مرارته على بدني
وأيقظ حزنه ، وأراق من عينيه في وَسْني ،
فأيقظني

ومد جناحه المخطوم من حولي
وعانقني
ووشوش صوته المنغوم في أذني
يؤرجحني
على أغصان دمعته التي امتزجت ، وفرحة
وحين أصاب من نفسي الذي يبغيه ،

أطلقني
وأغفى في جوارى ، والمساء يلم طرحته
لتولد في الصباح مرارةٌ أخرى
وتولد ،
شهوةٌ في الليل ، تدفع صدرَ محبوبي
ليطفأها على بدني

رقيا

في كل مساء ؛
حين تدق الساعة نصف الليل ،
وتذوي الأصوات
أتداخل في جلدي ، أتشرب أنفاسي
وأنادمُ ظلي فوق الحائط
أتجوّل في تاريخي ، أتنزّه في تذكاراتي
أتحّد بجسمي المتفتت في أجزاء اليوم الميت
تستيقظ أيامي المدفونة في جسمي المتفتت
أتشابهك طفلاً وصبيّاً وحكيماً محزوناً
يتآلف ضحكي وبكائي مثل قرار وجواب

أَجْدِلْ حَبْلًا مِنْ زَهْوِي وَضِيَاعِي
لَأَعْلَقَهُ فِي سَقْفِ اللَّيْلِ الْأَزْرَقِ
أَتَسْلِقُهُ حَتَّى أَتَمَدَّدَ فِي وَجْهِ قَبَابِ الْمَدَنِ الصَّخْرِيَّةِ
أَتَعَانِقُ وَالْدُنْيَا فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ



حِينَ تَدُقُّ السَّاعَةُ دَقَّتَهَا الْأُولَى
تَبْدَأُ رَحْلَتِي اللَّيْلِيَّةِ
أُتَخَيَّرُ رَكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْأَرْضِ السَّيِّئَةِ
كَيْ أَنْفُذَ مِنْهُ غَرِيبًا مَجْهُولًا
يَتَكَشَّفُ وَجْهِي ، وَتَسِيلُ غَضُونُ جَبِينِي
تَتَاجَرُ فِيهِ عَيْنَانِ مُعَذَّبَتَانِ مُسَاحِمَتَانِ
يَتَحَوَّلُ جِسْمِي دُخَانًا وَنَدَاوَةً
تَرْقُدُ أَعْضَائِي فِي ظِلِّ نَجْمِ اللَّيْلِ الْوَهَّاجَةِ وَالْمُنْتَظَفَةِ
تَتَأَكَّلُهَا الظَّامَةُ وَالْأَنْدَاءُ ، لَتَنْحَلَّ صَفَاءً وَهَيُولَى
أَتَمْزِقُ رِيحًا طَيِّبَةً تَحْمِلُ حَبَاتِ الْخُصْبِ الْمُخْتَبِئَةِ
تُخْفِيهَا تَحْتَ سِرَازِيلِ الْعِشَاقِ ،

وفي أذرعة الأغصان
أنفتت أحياناً موسيقى سحرية
هائلة في أنحاء الوديان
أتحول حين يتم قلبي — زَمَنا
تتنقل في نجوم الليل
تتجوّل دقات الساعات



كل صباح ، يفتح باب الكون الشرقي
وتخرج منه الشمس اللهبية
وتدوّب أعضاءي ، ثم تجملها
تلمقي نوراً يكشف عُرْيي
تتخلّص عن عورتى النجمات
أجمعُ فأراً ، أهوي من عليائي ،
إذا تنقطعُ حبالى الليلية
يلقي بي في مخزن عاديات
كي أتأمل بعيونٍ مرتبكة
من تحت الأرفف أقدامَ المارةِ في الطرقات ..

الشمس والمرأة

كانت تتمايل في ضجعتها ،
شمسٌ غاربةٌ ،
تتفصدُ نوراً مكتوماً ،
تتمزق في منحنيات الظل
وتهوي أشلاءً

كانت تتمايل في ضجعتها ،
تحفي بضع خطوط في ساقها ،
تتمدّدُ زرقاء
عينها تنطفئان وتشتعلان
هدّباها يرتحيان ويرتعدان

تتذاكر عهداً ذهبياً ،
قضته في صحبة رجل مجنون ،
لا يتورع أن يضغطها فوق العشب
ويلقم نهديا حتى تبكي إعياء

●

هبطت عن مضجعها لما جاء الليل ،
بلت شيخوختها في ماء البحر ،
أغفت حتى تولد في الصبح الداني ، عذراء

●

هزت نهديا الممطوطين
بحث بينها عن مفتاح الغرفة
نظرت تتلمس خطوطها في الرمل ،
وقامت مرهقة شماء
أخذت من أول دكان
ما يكفيها من خبز ونبيذ ودخان

ذهبت كي ترقد في ماضيها ،
تنشئه إنشاءً



الصبح يشد ذؤابات الشمس العذراءِ
وُفرشها الحصباءَ



كانت تتبسّم ميتةً ،
ويداها في نهديها ،
فمُها يتحلّب ماءً

يا نجمي .. يا نجمي الأوحده

ها أنت هنا ، أشرقت على موعد
يا نجمي ، يا نجمي ، الأوحده
يا فرحي ، يا عمري الأسعد
وأنا أخطو نحو الدار
قلبي المشبوب ، وقد أغفت
في صدري باقة أزهار
وسنجلس في الركن النائي .. قطين أليفين
مقرورين
نتحسس ما أبقت أيامُ الذل على وجهي المكدود
وعلى خديك من الألم الممدود

يا نجمي ، يا نجمي الأوحـد

ما زلنا — ما زال العالم

ما زال كثيباً ، ما زالـا

وأنا أصعد

وأدق على صدرِ الباب

ويحيبُ الصوتُ المجهود

« إن كنت صديقاً فتقدم »

وأقول « سلاماً »

وأنا لا أملك من دنياي سوى لفظ سلام

وجلسنا في الركن النائي ...

نحكي ما قد صنعتـه الأيام

ونما في قلبينا مرح مغلول الأقدام

مرح خلاب كالأحلام

وقصير العمر

هل يضحك يا نجميَ إنسان مقصوم الظهرُ

يا نجمي ...

فلنتناجى ،

ولنتحسس ما أبقت أيام الذل

ولأن الأيام مريضه

ولأن الليل الموحش يولد فيه الرعب

تعتل كلمات الحب

يا نجمي ، يا نجمي الأوجد

ما يصنع قزمان التقيا في ظل مساء ؟

منهوكين

وعليلين

نظرا في استحياء

عرفا الأيامَ المروره

وأنين النفسِ المكسوره

وسعار الدَمِّ المذنب حين يحن إلى الدم

لفحت أيام الرعب رِواءَهما حتى شاهما

وذوى في عينها زهو الفطنه

عرباً من بزّةِ هذا العصرِ المشهود
صَفُرًا ، صَفُرًا ، حتى دَقًّا
حتى صارا قزمينِ
مقرورين

ثم التقيا في ظل مساء
في قلب العاجز ماذا يُلقى العاجز
ماذا يَهَبُ العُرْيَانُ إلى العريان
إِلَّا الكلمة
والجلسة في الركن النائي ،

قزمين ودودين

صَفُرًا ، صَفُرًا ، حتى دَقَّا
في قلب العاجز ماذا يُلقى العاجز إلا الحبُّ المعتل
مَسَحَتِ صدر الشباك أصابعُ ريحٍ شرقيه
وتوهج قلبانا من شيء يولد في الظلمه
فتلاصقنا
وتعانقنا

ثم خبا ، لم ندرك شيئاً
وتهدل كفّانا ، أغضت
عينانا ، أذرفنا دمعهُ
يا أيتها الريح .. الريح الشرقية
يا .. يا وهج الدفء
عودا ! أوصدنا بابينا
وعرفنا أننا قزمان
مقروران

من خير كما لم ندرك شيئاً
وداعاً يا نجمي الأوحـد
ولأن الأيامَ مريضه
ولأن الليلَ الموحش يولدُ فيه الرعب
لن نجني .. حتى الحب

قولي .. أماتُ
جسِّيهِ .. جسي وجنتيه
هذا البريق
ما زال ومضُ منه يفرش مقلتيه
هذي أصابعه النحيله
هذي جدائله الطويله
أنفاسه المتردداتُ بصدرة الوردى كالنغم الأخير
من عازف وقد النعاس عليه في الليل الأخير
وتلك جبهته النبيله
بيضاء يلمع فوق موجتها الزبد

قولي .. أمات
وأنا غدوت بلا أحد



وسألتني .. ما الوقت ، هل دلف المساء ؟
- أتذهبين ؟

ولمَ نطيلُ عذابَه حتى الصباح
لن يرجعَ الصبحَ الحياة اليه ،
ما جدوى الصباح ؟



ومَضَ الشعاعُ بعينه الهدباء ومضته الأخيره
ثم احترق
ورأيت شيئاً من تراب الوجدتين
رباه : فوق الصدر ، فوق الساعدين
والعازف المغلوب نام ، ومات في الصمت الكبير
نغمٌ أخير



وسألت .. مات . ؟ أجل سأبكيه ،

سنبكيه معاً

ووجعت ، لا الجفن اختلج

ونَهَضتِ ، ثم فتحت هذا الباب في صمت ملول

ونظرت خلف الباب تلتَمِسِينَ سَلَمَةَ النزول

ووقفت ، ثم رجعت في عينيك شيء من وهج

كي تلمسيه

أو تغمضي عينيه أو تتأمليه

لا تلمسيه !

هذا الصبي ابن السنين الداميات العاريات من الفرح

هو فرحتي ،

لا تلمسيه !

أسكنته صدري فنام

وسدته قلبي الكسير

وسقيتُ مدفنَه دمي

وجعلتُ حائطه الضلوع

وأنت من 'هدني الشموع'
ليزوره عمري الظمي ...

الهم ... والإغنية

مرثية لعبد الناصر

لا ، لم يمّت ...
وتظل أشتاتُ الحديث ممزقاتٍ في الضمائرِ
غافياتٍ في السكينة
حتى تصير لها من الأحزان أجنحةٌ ،
تطير بها كلاماً مرهقاً ، يمضي ليلقُفه الهواءُ
يرده لترن في جدرانهِ دور مدينة الموت الحزينه
أصوات أهلِها الذين بنت بهم سُرُورُ البكاء
يتجمعون على موائد السهر الفقير ، معذبين
ومطرقين

الدمع سقيام ، وخبزمُ التأوه والأنين
يلقون - بين الدمعتين - زفيرُ أسئلةٍ ،
”تخشِشٍ مثل أوراق الخريف الذابلات“
هل مات من وهب الحياة حياته
حقاً أمات ؟

ماذا سنفعل بعده ؟
ماذا سنفعل دونه ؟
حقاً أمات ؟

تتجمع الكلمات حول اسم سري كالنبض في شريانهم ،
عشرين عاما

كان الملاذ لهم من الليل البهيم
وكان تعويد السقيم

وكان حلم مضاجع المرضى ، وأغنية المسافر في
الظلام

وكان مفتاح المدينة للفقير ، يذوده حرس المدينة

عن حمّاهما

وكان موسم نيلها ،
يأتي فينثر ألف خيط من خيوط الخصب تورق في رباها
وكان من يحلو بذكر فعاله في كل ليله
للمرهقين النائين بنصف ثوب ، نصف بطن
سمّر المودة والتغني والتمني والكلام

والآن أصبح كل لفظ خنجرا ، ولكل أمنية عذاب
هل مات ، واحزنناه
آه لو يعود لبرهة ، ويحيل نظرتة ،
ويكشف عن غد بعض الضباب
أواه ، لكن كيف آب إلى التراب ؛
ولم يحن وقت الإياب
القول يرهقنا ،
لنصمت ،

علّ في الصمت الناس والسلام

فالصمت أجمل ما يكون إذا غدت 'سبيل' الكلام
تفضي إلى نار المواجد أو إلى ماء السراب
وتقودنا الذكرى الصموت إلى عميق نفوسنا الملائى ،
وتختلج الظلال

ونهم في كنا وكان
ويعود ذيك الزمان
ونروح في 'سترخاء' الموجد ننتشر عمرنا في ظله
يوماً فيوماً

الصفحة الأولى ، ..
وكان مجيئه وعداً من الآجالِ ،
لا يُوفى لمصر ألف عام
والليل ممدود السرادق فوقنا 'ظلماً' وظلماً
والثورة الكبرى توهم واهم ورؤى خيال
حق طلعت ، طلعتا ، الثورة الكبرى ، وأنت
كأن مصر الأم كانت قد غفت ،
كي تستعيد شبابها ورؤى صباها

و كأنها كانت قد احترقت ..
لَتَطْهَرُ ثُمَّ تَوَلَدَ من جديد في اللهب
وخرجت أنت شرارة التاريخ من أحشائها
لتعود 'تُشْعِلُ' كل شيء من لظاها

ونعيش في أيامنا الملى بصوتك منشداً لغة رخيصة
كي يوقظ الموتى من الأجداد ،
يبعث من ركام العالم المدفون أطيف انتصارات
قديمه
لتعود لـلوادي ، وتبعث في ثرى مصر الجديده
والعظيمه

ونعيش مع أيامنا الملى بيومك واسعاً كالأمنيات ،
وضيقاً بالصخر والشوك المدمى والرماد
أيامنا الملى بأصداء انتصارك ...
سهماً المسنون جاز مداه منتصراً وعاد

أَيَامَنَا الْمَلَأَى بِأَوْجَاعِ انْكَسَارِكَ
أَحَدٌ. وَبَدَرَ شَارَتَانِ عَلَى رِجْلَيْ مُحَمَّدٍ ، عَاشَ الْجِهَادُ
لَا ، لَمْ نَكُنْ نَحْيَا كَمَا يَحْيَوْنَ أَيَّاماً نُقْضِيهَا إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ
بَلْ كَانَ مَا نَحْيَاهُ تَارِيخًا كَأَرْوَعِ مَا تَكُونُ مَلَا حِمَّ التَّارِيخِ
سَاحَ تَرْنِ بِهَا أَغَانِي الْمَجْدِ مُرْعِدَةً ، وَحَمَمَةَ الْجِيَادِ

وَنَعِيشُ فِي أَيَّامِنَا الْمَلَأَى بِوَقْعِ خَطَاكَ فِي الْوَادِي الْأَمِينِ
إِذْ كُنْتَ فَرَحَتْنَا الْكَبِيرَةَ ، حِينَ تَمَسَّكَ فِي يَدَيْكَ الْحِلْمَ ،
تَنَثَّرَ مِنْهُ فَوْقَ أَسْرَّةِ الْأَطْفَالِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ
أَوْ فِي نَوَاحِي بَيْتِ مِصْرَ عَلَى رُؤُوسِ شَبَابِهَا الْمُتَجَمِّعِينَ
إِذْ كُنْتَ تَجْعَلُهُمْ يَمْدُونَ الرِّقَابَ وَتَشْرِبُ عَيْوَنَهُمْ
نَحْوَ السَّمَاءِ

وَيُمَدُّ حَبْلَ الْأُمْنِيَّاتِ لَكَ يَصِيدُ الشَّمْسَ مِنْ عَلَيَّاهَا
حَتَّى لِنَطْمَحُ أَنْ نُنْقَسِمَ نَوْرَهَا قِطْعًا عَلَى أَحِبَابِنَا
وَنَعِيدَ مَا طَمَرَ الزَّمَانُ ، وَأَخْلَفَتْ عِدَّةُ السَّنِينَ

ونعيش في أيامنا الملى بصورتك التي عاشت على أهدابنا
عشرين عاما

نلقاك شاباً في رداء الحرب تنفخ في النفير
كي توقف الأشلاء ، تجمع شمل مصر المسترقّة
كانت على مجرى الزمان تمزقت قطعاً
فطفت على مسارِ النيل تجمع مزقة في إثر مزقه
حتى نهضت ، نهضتا ، ألقيتا التابوت في لهب السعير
وعدتما في خير رفقه

نلقاك كهلاً أشيب الفودين في عمر النبوه
تعلي موائيق الأخوه
وتضم في عينيك توقّ النيل للأنهار ،
يلفظ أهلها بلغى العروبه
وتؤلف المدن القريبه
كانت قد اختلفت وغيرها الزمان ،
وأصبحت مدناً غريبه

نلقاك في الخمسين أكثر حكمة وأشد حزنًا
الأقرباء تباعدوا وتباغضوا ،
والنصر أخلف وعده ، والله يلهمنا الطريق ،
يشد أزر المؤمنين
الله ! يا هول السنين
الحنّة الكبرى ، ووجهك غائب ، والليل يوغل
والشجون

هل مت ؟ لا ، بل عدت حين تجمع الشعب الكبير
وراء نعشك

إذ صاح بالإلهام :
مصر تعيش ... مصر تعيش ...
أنت إذن تعيش ، فأنت بعض من ثراها
بل قبضة منه تعود إليه ، تعطيه ويعطيها ارتعاشها
وخفق الروح يسري في بقايا تربها ، وذِمّا دِمّاها
مصر الولود نمتك ، ثم رعتك ، ثم استخلفتك على ذراها

ثم اصطفيتك لحضنها ،
لتصيرَ أغنيةً ترفرف في سماها